

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مَنَاجَاةُ قَلْبٍ

Compiled and Prepared by
Colonel Faisal Murjan



﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ۗ اللَّهُ لِنُورِهِ مِنْ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القلوب موضعًا لذكره، وجعل قسوتها درسًا من دروس هجره، وجعل للرحمة طريقًا تصل القلوب به إلى طاعته، والصلاة والسلام على من بُعث رحمةً للعالمين؛ هذه المائة مناجاة **لأنك الله** ليست مجرد كلمات، بل قلب ينبض بين السطور، يناجي ربه في سكون الليل وضجيج النهار. مائة حوار خاص مع الله، ومائة خاطرة تكشف رحلة قلب من الغفلة إلى الذكر، ومن القسوة إلى الخشوع، ستجد بين الثنايا صدى لأنين التائبين، وهمسات المحبين، ودموع الخاشعين، وكلمات كتبت بالقلب قبل اللسان.

كتاب لأنك الله حروف تجعل القارئ، بإذن الله، ينتقل أثناء القراءة بمراحل متتالية: كدورة حياة روحية من حوار خفقات الفؤاد إلى الاقتراب الروحي من الفطرة، ثم ينتقل إلى البصيرة والمعرفة، ومنها إلى المناجاة والحب، وصولاً إلى الاعتماد على الله واستشعار معيته وخشيته، ثم ضبط المسار الروحي والانضباط الداخلي، فالعبادة والخشوع العملي، وأخيرًا يصل إلى التأمل والعودة إلى القلب والسكينة الداخلية، وسيجد القارئ في كل مناجاة مع الخالق عنصراً عملياً يستطيع القيام به بيسر. وليس بتكلف ولا مشقة، والغاية من هذا المسلك العملي حتى تعم الفائدة وخروجاً من التأصيل والتنظير إلى الجانب العملي الذي من خلاله يصل القارئ إلى حقيقة المناجاة مع الله سبحانه من كلمات وهمهمات لفظية إلى سلوك عملي في معاملاته مع نفسه أولاً ثم مع محيطه.

أيها القارئ الحبيب؛ اعلم أن القسوة الحقيقية ليست في نار الآخرة فقط، بل في قلب لا يخفق عند الذكر، ولا يخشع عند التذكير، ولا يلين عند الطاعة أو المعصية؛ فأَيُّ حرمان أشد من أن تُغلق قلوبنا عن لذة المناجاة، وحلاوة الإيمان، وصدق الخشية؟ وهذه الورقات ما هي إلا محاولة من محب لنصح مسار العبودية لله سبحانه وتعالى التي يقول فيها الحبيب المصطفى اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ وخاصة ونحن نعيش في زمن فيه من الترف والنعيم والملهيات والمشغل والهموم والمشاكل والفتن ما تنوء بحمله الجبال.

المؤلف.

اللهم ابدل قلوبنا قلوبا تخشع لذكرك، وتلين لطاعتك،
وتذرف دموع الخشية والخوف من معصيتك؛ اجعلها رقيقة
كما احببت، قادرة على اللقاء بنور معرفتك، لا تنطفئ في ظلمات
الغفلة، ولا يعلو عليها طغيان الشهوات، بل تكون دائما على
اتصال بحلاوة الذكر، ورقة الإيمان، وصدق الشوق اليك.



الفطرة وسؤال الوجود الله

في أعماق كل إنسان سؤال لا يموت، وإن حاولت الحياة أن تشغله عنه؛ سؤال عن الغاية، وعن المعنى، وعن ذلك الفراغ الذي لا تملؤه الأشياء مهما كثرت، ولا تسكنه الدنيا مهما اتسعت؛ سؤال يعود كلما هدا الضجيج، وكلما خلا الإنسان إلى نفسه، وكلما أدرك أن في القلب حاجة لا يستطيع شيء من متاع الحياة أن يسدها.

لقد أودع الله في الإنسان فطرةً تعرف ربها وتطلب الحق، وجعل في القلب توقًا إلى الهداية والسكينة؛ لكن مشاغل الحياة قد تغطي هذا النداء، وقد تكثر حول الإنسان الأصوات حتى يكاد ينسى— صوته الداخلي؛ ومن هنا تبدأ الرحلة: لا بالبحث عن شيء غريب عنك، بل بالعودة إلى ما فطرك الله عليه، وإلى ذلك القلب الذي طالما ناداك أن تعود.

من هنا سنقترب من الإجابة على الأسئلة الأولى؛ من سر وجودنا، ومن معنى الفطرة، ومن النور الذي يبحث عنه القلب حين تضيق به الطرق؛ سنحاول أن ننظر إلى الداخل لا هربًا من الحياة، بل بحثًا عن المعنى الذي يجعلها أكثر استقامة ووضوحًا؛ فربما كان أول الطريق أن تتوقف قليلًا، وأن تسأل نفسك بصدق: هل عرفت سر وجودك؟

هل عرفت سرّ وجودك؟

ليس وجود الإنسان عبثًا، ولا الحياة رحلةً بلا غاية؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١؛ وبين الفرح والحزن، والسعة والضيق، يمضي الإنسان في هذه الدنيا مبتلىً ومكلفًا، يتعلم كيف يعرف ربه من خلال وحيه وآياته، وكيف تتحول المعرفة إلى إيمان، والإيمان إلى عبادة، والعبادة إلى حياة يستقيم فيها القلب والعمل.

وقد يدرك العبد أن العبادة ليست حركات تؤدي آليًا، بل هي معنى يشمل حياته كلها؛ فإذا صح القصد، وصح العمل، صار المباح الذي يقصد به وجه الله بابًا من أبواب الأجر؛ وفي ضعفه قبل قوته، وفي انكساره قبل عافيته، وفي أيامه العادية قبل لحظاته الاستثنائية، يجد مجالًا لعبادة الله وشكره والافتقار إليه.

 **ولأنك الله** فلك الحمد أن رحمت فأوقظت في قلوب التائبين معنى العبودية لك سبحانه؛ فهي أشرف مقام يبلغه الإنسان؛ إذ يتحرر من عبودية الهوى والخلق، ويستقيم على طاعتك، ويرجو فضلك، ويخافك، ويحبك على ما يليق بجلالك؛ وكلما تذكر فناء الدنيا، علم أن المال والجاه والمتاع أسباب زائلة، وأن ما ينفعه حقًا هو الإيمان والعمل الصالح وما يتركه من أثرٍ طيب.

١ سورة الذاريات: ٥٦

ومن آيات قدرتك أن جعلت النوم آيةً يتفكر فيها العبد؛ وسبحانك القائل: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**^١ فإذا استيقظ الإنسان، تذكر نعمة الحياة، وتذكر أن الأجل محدود، وأن كل صباح فرصة جديدة للطاعة والتوبة وإصلاح ما فسد؛ وليس الاستيقاظ بعثًا حقيقيًا، لكنه يذكر القلب بالبعث والنشور، ويوقظه من غفلته قبل أن يأتي اليوم الذي لا رجعة بعده.

 **ولأنك الله تعلم** العبد أن الدنيا ليست غايةً في ذاتها؛ ففيها نعم ينتفع بها، وأسباب يسعى فيها، وأعمال صالحة يبتغي بها وجهك؛ قال النبي ﷺ: **الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا**^٢؛ فالمذموم ليس وجود الدنيا، وإنما ما يشغل عن الله ويقطع عن طاعته.

ولهذا لا يكون الزهد في ترك النعم، بل في ألا تستولي على القلب، وألا يصبح المال غايةً، ولا الجاه معبودًا، ولا الأسباب محل اعتمادٍ مستقل؛ بل يأخذ العبد منها بما أباح الله، ويجعل قلبه متعلقًا بربه فيأخذ منها ما يعينه، ويسعى في أسبابها، ويشكر المنعم عليها، بينما يظل قلبه متعلقًا بالله وحده.

١ سورة الزمر: ٤٢

٢ ابن القيم، عدة الصابرين (٢٦٠/١) • حسن • أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢).

❖ تطبيق عملي للزكية:

🌱 خَصِّصْ لنفسك لحظاتٍ يومية تتأمل فيها الموت والنشور، تستحضر- نعمة الحياة، وتستشعر معنى البعث الجديد في كل يوم، وتعهد زيارة الأحبة الذين سبقوك للقاء الله
🌱 اجعل نومك موتًا صغرى واعية؛ فكل مساء، ذكّر قلبك أن هذه الغفوة قد تكون الرحيل، وأن ما بقي لك من العمر فرصة للتوبة والرجوع، لتستقبل صباحك بعزمٍ متجدد وقلبٍ صادق.

🌱 اعتبر بعواقب الدنيا فيما بين يديك من مالٍ أو جاهٍ أو نعمة، واستحضر- زوالها، واجعل همّك ما يبقى في الميزان من عملٍ صالح يقربك من الله.

🌱 ثبّت في قلبك يقين الغاية: أن تحيا في طاعة الله، وأن تعود إليه سالمًا، بقلبٍ سليم لا يتعلّق إلا به.

سرّ الوجود الخفي

حين يتأمل المؤمن قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١، يفتح أمامه معنى العبودية لا شعارًا يُرفع، بل طريقًا يُسلك في تفاصيل الحياة؛ فيدرك أن العبادة أوسع من شعائر تؤدّى، وأنها تقوم على توحيد الله، ومعرفته بما عرّف به نفسه، ومحبته وتعظيمه وطاعته، ثم تزكية النفس وإصلاح السلوك.

ويكتشف أن في العبودية لله عزًّا للإنسان وحريةً من التعلق المذل بالمخلوق، ومن أسر الشهوات والأهواء؛ فيعيش في الدنيا مستعينا بربه، ملتزمًا بشرعه، مستحضرًا افتقاره إليه، راجيًا فضله، خائفًا من التقصير في حقه. ويوقظه القرآن بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^٢ فكرم الله لا يبرر الغفلة، بل يدعو إلى الشكر والطاعة، ويذكر العبد بعظيم النعم التي تستوجب القيام بحقها.

وحين يستقر هذا المعنى في القلب، تتغير نظرته إلى أيامه؛ فلا يرى الدنيا غايةً يُستفرغ العمر في تحصيلها، بل ميدانًا للعمل والابتلاء. فيحمد الله عند السراء، ويصبر عند الضراء، ويستغفر عند التقصير، ويعود إلى ربه كلما أثقلت الغفلة. ويظهر أثر

١ الذاريات: ٥٦

٢ الانفطار: ٦-٨.

التوحيد في سلوكه: أمانه حين يُؤتمن، وعدلاً حين يقدر، وصبراً حين يُبتلى، وشكراً حين يُنعم عليه؛ فالإيمان الصادق لا يبقى فكرة تُقال، بل يثمر عملاً صالحاً وخُلُقاً مستقيماً.

 **ولأنك الله** نحمدك على نعمة التوحيد، ونسألك قلوباً خاضعةً لعظمتك، عامرةً بذكرك، راجيةً رحمتك، مستعينةً بك في كل شأن. اللهم لا تجعل عبادتنا عادةً تخلو من الإخلاص، ولا تجعل سعينا في الدنيا سبباً للغفلة عن الآخرة؛ أصلح نياتنا وأعمالنا، وثبتنا على طاعتك، واغفر تقصيرنا.

 **ولأنك الله** نسألك أن ترزقنا من الدنيا ما يعيننا على طاعتك ونفع عبادك، وألا تجعلها أكبر همنا؛ وإن أعطيتنا منها فبارك لنا فيما أعطيت، وإن منعتنا شيئاً فارزقنا الصبر، وحسن الظن بك، والرضا بما قسمت لنا.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

 أن يبدأ المسلم يومه بسؤال نفسه: كيف يحقق معنى العبودية اليوم؟ ثم يحوله إلى عمل؛ فيتقن ما أوتمن عليه، ويكف الأذى، وير والديه، ويعين محتاجاً، ويذكر الله بقلب حاضر. وليصح نيته في المباحات؛ فطلب الرزق لإعفاف النفس والأهل، والراحة للاستعانة على الطاعة، قد يصيران قرينةً بالنية الصالحة.

وهكذا تصبح العبودية طريقاً يومياً؛ إخلاصاً في القصد، وصدقاً في القول، وإحساناً في العمل. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

نداء الفطرة

من أهدأ زوايا القلب، قد ينهض نداء خفي لا يُسمع بالأذن، بل تدركه النفس حين تهدأ ضوضاء الحياة؛ نداء يذكّر الإنسان بأن الغاية التي ينبغي أن يتوجه إليها قلبه هي الله، وأن ما سواه من الأسباب والمطالب لا يستقل عنه بشيء؛ وفي تلك الخلوة، لا يكون الرجوع إلى الله هروبًا من الحياة، بل عودةً إلى المعنى الذي تستقيم به الحياة؛ فالقلب مفطور على التطلع إلى خالقه، وإن حجت زخارف الدنيا بعض ما فطر عليه من معرفة الحق ومحبه.

 ولأنك الله القائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^١؛ فالفطرة أصلٌ في النفس تدعوها إلى التوحيد وقبول الحق، ثم يأتي الوحي ليهديها، ويعلمها، ويقيم لها معالم الطريق؛ ولذلك لا يكون الإيمان مجرد فكرة يستوعبها العقل، ولا مجرد شعور عابر؛ بل هو تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ بالحق، واستجابةٌ تظهر آثارها في العمل والسلوك.

 ولأنك الله ندرك أن الفطرة أصلٌ فطرت الناس عليه، تهئ النفس لقبول التوحيد والحق، ثم يأتي الوحي هاديًا لها، ومبينًا معالم الطريق، ومصححًا لما قد يعتريها من انحراف؛ ولذلك فالإيمان ليس مجرد فكرة يستوعبها العقل، ولا شعورًا

عابراً يمر بالقلب؛ بل هو تصديقٌ بالحق، وإقرارٌ به، وانقيادٌ لله، تظهر آثاره في العمل والسلوك؛ وكلما عاد العبد إلى ربه، وجد في نور الوحي ما يزي فطرته السليمة، ويهديه إلى الحق، ويرشده إلى ما فيه صلاح قلبه وحياته..

ولأنك الله  فالذكر عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، وهو كذلك حياةً للقلب وسببٌ من أسباب طمأنينته؛ يردّه حين يتشتت، ويوقظه حين يغفل، ويذكّره بأن لهذا الكون ربّاً يدبّر الأمر بحكمة، وأن ما يضطرب في الحياة لا يخرج عن علمه وتقديره: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١؛ وكما يستنير الطريق بنور يهدي السائر، يستمد القلب من الذكر ما يعينه على الثبات وسط تقلبات الحياة، ويجدد في داخله معنى العبودية والافتقار إلى الله وقد يتباطأ الإنسان في طريق الرجوع، وتثقل عليه الخطوات، وتغلبه الغفلة حيناً؛ لكنه متى أفاق، وجد باب التوبة مفتوحاً، فاستأنف السير، وسأل ربه الهداية والثبات، ولم يجعل تأخره سبباً لليأس.

ولأنك الله  يجد العبد في مناجاتك متنفساً لما يضيق به صدره، وفي الدعاء باباً يسكب فيه ضعفه ورجاءه؛ فيقول: اللهم اجعلني كثير الرجوع، وصادق الافتقار إليك، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا تحرمني لذة طاعتك وحلاوة ذكرك؛ وإذا شغلتني الحياة عنك، فردني إليك ردّاً جميلاً، وإذا غلبتني

الغفلة، فأيقظ قلبي، وإذا ضاقت بي السبل، فاهدني لما تحب وترضى.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

 ابدأ يومك ب صلاة الفجر وبذكر الله حتى تشرق الشمس.
 اجعل لسانك رطبًا بذكر الله في كل وقت، حتى لو كانت كلمات بسيطة مثل سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر؛ اجعل هذه الكلمات جزءًا من حديثك مع نفسك في كل ساعة من يومك.

 التأمل في الآيات: حين تشعر بالحيرة أو التشتت، اسع لتفسير وتفكير أعمق في آية تتعلق بالقلب، مثل آية: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١، واجعلها نقطة انطلاق لتجديد يقينك بأن العودة إلى الله هي الطريق الوحيد للسلام الداخلي.
 خصّص في يومك لحظات صمتٍ ومحاسبة مقصودة اسأل فيها قلبك: إلى أين أتجه الآن؟ ثم اختتمها بذكرٍ قصير ثابت، هذا التوقف اليومي يعاير البوصلة، ويُبقي نداء الفطرة مسموعًا وسط الضجيج.

١ الرعد: ٢٨.

أين النور

كان يجلس في ليلة هادئة، يُحدّق في القمر، ساكنًا كما لو أن السماء تحبس أنفاسها؛ وفجأة، بدأ ضوؤه يتوارى خلف سحابة عابرة؛ لم يختفِ دفعةً واحدة، بل انسحب على مهل، حتى حُيِّل إليه أن الليل قد ابتلعه؛ تسلَّل إلى القلب سؤالٌ خافت: أين ذهب النور؟ فأجابه القلب، لا بصوتٍ مسموع، بل بيقينٍ دافئ: النور لم يذهب، وإنما حجبه الغمام عن العين لحكمةٍ لا تُحسن قراءتها الآن.

عندها أدرك أن الحياة كثيرًا ما تشبه هذا المشهد؛ فقد يظن الإنسان أن النور قد غاب، بينما هو لم يغب، وإنما حجبه عارضٌ عابر؛ وهكذا حال القلب؛ قد يشعر العبد أن نور الإيمان قد خَفَت، أو أن الطمأنينة قد ابتعدت، فيحسب ذلك غيابًا، وما هو إلا ابتلاءٌ تتقلب فيه القلوب، وتمتحن فيه النفوس، ويظهر فيه صدق اللجوء إلى الله.

فلا ييأس العبد إذا شعر أن السكينة قد قلَّت في قلبه، ولا يظن أن رحمة الله قد انقطعت؛ فإن رحمة الله واسعة، وفضله لا ينفد، وقد يجعل في بعض المنع والتأخير حكمًا لا يدركها العبد إلا بعد حين؛ وربما كان فتور الشعور بالطمأنينة سببًا في عودة القلب إلى ربه بإلحاحٍ أصدق، وخضوعٍ أنقى، وافتقارٍ أشد؛ فيتعلم أن السكينة ليست في خلو الحياة من الألم، وإنما في حسن الصلة بالله، والثقة بحكمته، والرضا بما يقدره وفي تلك

اللحظة، يمرّ تذكير لطيف في القلب بقول الله تعالى، كوعد يُتلى على مواضع الوجع: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^١.

 ولأنك الله انسكبت الطمأنينة في الصدر، وعلم القلب أن الفرج بيد الله؛ يأتي في الوقت الذي يقدره، وبالقدر الذي يشاء، لا وفق استعجال العبد ولا بحسب ما يتمنى؛ وأن السحاب، مهما اشتدّ، لا يملك أن يطفئ نورًا جعل الله فيه سببًا للهداية؛ فإذا شاء الله انكشف الغمام، وعادت الأشياء إلى وضوحها.

وكما يحتجب القمر خلف الغمام، قد يحتجب عن القلب أحيانًا شعور السكينة، وقد يبهت الإحساس بالراحة؛ لكن ذلك لا يعني انقطاع فضل الله، ولا غياب رحمته؛ إنها أحوال تتعاقب، وابتلاءات تمضي؛ وبالصبر، والدعاء، وحسن التوكل على الله، يستعيد القلب توازنه، وربما عاد أكثر نضجًا، وأرسخ يقينًا، وأشد افتقارًا إلى ربه.

 ولأنك الله؛ يصبح كل قلب يتوق إلى الرحمة، وكل روح تبحث عن معنى، وكل إنسان يمرّ بلحظة ظلمة، أمام فرصة للعودة لا للعطب؛ عودة إلى الله بالدعاء، والذكر، والاستغفار، وحسن الظن به، والثبات على طاعته؛ فليس كل ضيق علامة على البعد، ولا كل تأخر دليلًا على الحرمان؛ فقد يكون وراء ما نكره لطف لا نراه، وحكمة لا ندركها إلا بعد انكشاف الغمام. فالنور لم يختف من القمر، وإنما حجبته السحاب عن العين؛ وكذلك قد تُحجب عن القلب بعض آثار السكينة في أوقات

الابتلاء، ثم تنقشع سحب الغفلة، وتتفتح نوافذ القلب بالذكر والدعاء، فيرى العبد من لطف الله ما كان غافلاً عنه. وحينها يدرك أن الليل، مهما طال، ليس نهاية الطريق؛ وأن القلب قد يمرّ بلحظاتٍ لا يرى فيها إلا العتمة، ثم يفتح الله له من أبواب الهداية والطمأنينة ما لم يكن يحتسب؛ فيعود القمر إلى سماءٍ كانت تظن نفسها مظلمة، ويعود القلب إلى ربه أكثر يقينًا وافتقارًا؛ لا لأن الله كان غائبًا، تعالى الله عن ذلك، ولكن لأن العبد تعلّم أن يثبت على الإيمان حتى حين لا يرى آثار الفرج قريبة.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

في كل مرة تشعر فيها أن نورك الداخلي خفت: توقّف دقيقة واحدة فقط؛ قل بصدق: يا رب، إن كان ما أشعر به حجبًا، فعلمني حكمته، ولا تحرمني نورك؛ ثم اقرأ الآية السابقة بتمعّن، واجعلها وردك لليوم كله كرره في سجودك وعند الشعور بالفجوة الروحية، وهذا الفعل البسيط يدرب القلب على الثقة وقت الغياب، لا فقط الشكر وقت الحضور..

الحرف الذي لا ينطق

أحيانًا تقف الكلمات واجفة على عتبات القلب حين تتزاحم المعاني ويعجز اللسان عن حملها، فيصبح الشعور أوسع من العبارة وأعمق من الوصف؛ وقد تمر بالإنسان لحظات يثقل فيها الإحساس حتى كأن الحروف تستأذن الصمت لتقول ما لا تستطيع الكلمات قوله، فتغدو السكينة مجالًا للتأمل، وتصبح الدمعة الصادقة شاهدًا على انكسار القلب وافتقاره إلى ربه ورجائه في فضله وعفوه ورحمته الواسعة. وعندما تضيق القواميس ويستعصي –البيان، قد يكون الصمت أبلغ من الكلام، لا لأنه يغني عن الدعاء، وإنما لأنه يكشف حاجة العبد إلى ربه بعيدًا عن التكلف؛ وفي الصلاة يجد الإنسان موضوعًا يجمع فيه بين خشوع الجوارح وافتقار القلب، وبين رجاء صادق وخوف من التقصير؛ فالمناجاة ليست مجرد كلمات مسموعة، بل عبادة وقصد ودعاء قد يفيض بهما القلب في سكون الليل. وفي مثل هذه اللحظات، لا يحتاج العبد إلى أن يزعم أن الله تعالى يخاطبه بإحساسه، أو أن كل دمعة علامة على رضا الله عنه؛ بل يكفي أن يعلم أن ربه يعلم السر- وأخفى، وأن علمه محيط بما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ

خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^١؛ فيطمئن إلى إحاطة العلم الإلهي بحاله، ويفزع إليه بالدعاء صادقًا. فبين يدي الله تنكشف حقيقة الافتقار، لا بمعنى أن العبد يحيط بحقيقة القرب الإلهي أو يدرك ذات الرب سبحانه، وإنما بمعنى أنه يعرف فقره إلى ربه، ويستشعر حاجته إلى هدايته وتوفيقه ورحمته؛ فيخلع عن نفسه دعاوى القوة، ويعترف بضعفه، ويعود إلى مولاه بالتوبة والاستغفار والرجاء، ويضع بين يديه ما يستطيع من دعاء وعمل، ثم يمضي في طريقه مستعينًا به وحده.

 ولأنك الله أقف ببابك، لا أطلب منك أن تجعل مشاعري حجة على فضلك، ولا أن تجعل دموعي دليلًا على القبول، وإنما أسألك يا رب أن تنظر إليّ بعين رحمتك، وأن تغفر تقصيري، وتستر عيبي، وتهديني إلى ما تحب وترضى؛ وأقف بين يديك مثقلًا بما أعلم من ذنوبي وغفلي، وبما لا أعرف من تقصيري وأخطائي وضعفي وحاجتي إلى عفوك وهداك ورحمتك.

لا أقول إنني بلغت مقام الصدق أو استحققت القبول، ولكن أرجو فضلك، وأخاف تقصيري، وأتعلق بوعدك، وأعلم أن باب التوبة مفتوح ما دام العبد حيًا، وأن رحمتك وسعت كل شيء، وأن الدعاء لا يكون صادقًا إلا إذا صحبه افتقار وخضوع وعمل صالح؛ لذلك رب، اجعل دموعي

توبة لا ادعاء، وكسري إنابة لا تركية، وصمتي تفكر لا غفلة،
واجعل رجائي عبادة.

وأنت تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتعلم ما تعجز
النفس عن ترتيبه من خواطر وآمال ومخاوف؛ فأسألك أن
تعينني على إصلاح ما بيني وبينك، وأن تهدي قلبي إلى ما
يرضيك، وأن تجعل صلاتي موطن خشوع، ودعائي موطن
صدق، واستغفاري بابًا للرجوع إليك؛ وإذا عجزت الكلمات
عن التعبير، فلا تجعل صمتي عذرًا عن الدعاء، بل علمني
أن أطرق بابك دائمًا أبدًا.

فإذا نزلت الدمعة من العين، لم يجعلها العبد رتبة ولا
منزلة، بل يراها فرصة للإنابة واستحضار التقصير؛ وإذا
انكسر قلبه، لم يزعم أن انكساره أرفع من أعمال غيره، أو
أن دموعه أرجى من حسناته، بل يسأل الله أن يجعل
ضعفه سببًا للرجوع، وأن يغفر له ما سلف، ويعينه على
إصلاح ما بقي؛ فرب دمعة صادقة قد تفتح باب التوبة
والأمل.

 **ولأنك الله** تعلم ما في الصدور قبل أن تنطق به
الألسن، وتعلم خفايا النفس وما يعتريها من خوف ورجاء
وتردد وأمل؛ فاجعل صمتي عونًا على ذكرك، لا حجابًا عن
الدعاء، واجعل دمعتي توبة وإنابة، وخفقات قلبي باعثًا إلى
الاستغفار والعمل الصالح، ولا تجعل ما أشعر به ميزانًا
أحكم به على منزلتي عندك، بل علمني الافتقار إليك دائمًا.

يا رب، ثَبَّتْ قلبي على طاعتك، واهدني إلى صراطك
المستقيم، واغفر لي ذنوبي وتقصيري، وأصلح سيرتي
وعلانيتي، وارزقني صدق التوبة وحسن الظن بك وكثرة
الرجوع إليك؛ ولا تجعل تأخر الإجابة سببًا للقنوط، ولا
حصول المطلوب سببًا للغفلة، بل اجعلني في كل حال عبدًا
فقرًا إليك، راجيًا فضلك، مستغفرًا، خاشعًا، عاملاً،
متفكرًا، صابرًا، شاكراً، راجيًا، ومفوضًا أمري إليك في كل
حال.

✽ تطبيق عملي للتزكية:

 خصص لحظات يومية للصمت والتأمل، ترفع خلالها
يديك إلى الله، وأدعوه من أعماق قلبك بما لا يمكن أن يُعبّر
عنه بالكلمات، مع الإيمان بأن الله لا يخفى عليه شيء في
الأرض ولا في السماء، وأن كل رجاء في قلب صادق سيجد
عنده الإجابة، ولو لم تُنطق به الألسن.

بصيرة القلب تدرك ما تعجز عنه الأبصار

كلما تأمل الإنسان آثار قدرة الله في هذا الكون، شعر بهيبة الخالق وعظمته، وأدرك أن الحواس والعقول إنما تهتدي بآياته وتستدل بآثار صنعه، لا أنها تحيط بكماله سبحانه؛ فكلما فُتح له باب من البصيرة، انكشف أمامه أفق أوسع، وعلم أن كمال الله أعظم من أن يحيط به عقل، وأن طريق العبودية ليس ادعاء الإحاطة، بل دوام الافتقار والتعظيم والخضوع.

 **ولأنك الله** تتجلى في خلقك آيات عظيمة تدل على قدرتك وحكمتك ووحدانيتك؛ ففي السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، واختلاف الألسنة والألوان، دلائل تدعو القلوب إلى التفكير والإيمان؛ وقد قلت سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^١، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^٢.

وفي انتظام هذا الخلق وتدييره ما يوقظ القلب لمعنى العظمة؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^٣؛

١ آل عمران: ١٩٠

٢ الروم: ٢٢

٣ الرعد: ٢

وهكذا يصبح التفكير في المخلوقات بابًا إلى تعظيم خالقها، لا محاولة للإحاطة بأسرار خلقه.

 **ولأنك الله** يدرك العبد أن أعظم ما تمنحه المعرفة من ثمرات هو الخشوع والتواضع؛ فكل فهم جديد يذكره بحدود علمه، وكل آية كونية تفتح له بابًا إلى مزيد من التأمل في حكمتك؛ وحين يرسخ هذا المعنى في القلب، يعلم أن المعرفة بالله تكون بما عرّف به نفسه في كتابه، وما جاء به رسوله ﷺ، مع الإيمان بعظمته وتنزيهه عن مشابهة خلقه، دون ادعاء الإحاطة بحقيقة ذاته سبحانه.

ويستحضر- قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^١، فيتذكر أن الإدراك لا يحيط بالله، وأن عجز المخلوق عن الإحاطة لا يعني انقطاع المعرفة، بل يدعوه إلى الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه، وتعظيمه مع التسليم لعظمة شأنه.

ثم تأتي البصيرة لتمنح القلب قدرة على الانتفاع بهذه الآيات؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ- فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾^٢؛ فليست البصيرة مجرد نظر بالعين، بل انتفاع بالحق وإذعان له؛ ومن أعرض عن الهدى حُرِمَ خيره بقدر إعراضه، والرسول ﷺ مبلغ عن ربه، وليس موكلاً بإجبار الناس على الهداية.

١ الأنعام: ١٠٣

٢ الأنعام: ١٠٤

🌱 ولأنك الله يجد العبد في الاعتراف بضعفه قوةً على الطاعة، وفي إدراك قصور علمه باعثًا على التواضع، وفي التأمل في آثار قدرتك سكينَةً تدعوه إلى مزيد من الإيمان؛ اللهم افتح لي أبواب الهداية، وارزقني قلبًا يتفكر في آياتك، ولسانًا يعظمك، ونفسًا تعرف قدرها، وكلما ازددت علمًا بك، فزدني خشوعًا وأدبًا وافتقارًا إليك، وثبّتي على طاعتك حتى ألقاك

❁ تطبيق عملي للتركية:

🌱 التأمل في خلق الله: اجعل من لحظات تأملك في الكون وسيلة لتحفيز الإيمان في قلبك؛ انظر إلى السماء، إلى الليل والنهار، إلى الكون بكل ما فيه من نظام دقيق، وتذكر دائمًا أنه ليس مجرد نظام عشوائي، بل هو خلقٌ دقيقٌ يدل على قدرة الله وعظمته.

🌱 الاعتراف بالعجز: استشعر ضعفك أمام عظمة الله، وكلما ازداد علمك وتفهمك، تذكر أن هذا العلم هو نعمة من الله، وكن متواضعًا في سعيك نحو فهم ما وراء هذا الكون.

🌱 التركية بالاعتراف: اعترف دائمًا بحدود إدراكك، ولا تشعر بالغرور بما تعلمت؛ تذكر أن كل ما تعلمته هو شيء قليل من بحر لا نهاية له، وتوجه دومًا إلى الله بكل قلبك.

في رحاب الأسماء سر السعادة الحقيقية

بحث الكثيرون عن السعادة في زوايا الدنيا؛ فظنوا أن المال سيملاً فراغهم، وأن الجاه والسلطان سيمنحان حياتهم قيمة، وأن المتع والملذات ستغمر قلوبهم بالفرح؛ فيملؤوا أيديهم بما استطاعوا، وعاشوا لحظات من الرفاه والمتعة، ثم اكتشفوا أن القلب كان يطلب شيئاً أعمق؛ فما أسرع ما انقضت اللذات، وبقي الفراغ، وأدركوا أن كثيراً مما سعوا وراءه لم يكن إلا سراباً لا يروي عطش القلب.

🌱 ولأنك الله، أدركوا أن السعادة لا تكمن في كثرة ما يملكون، بل في إيمان القلب بك، وطمأنينته بذكرك، واستقامته على طاعتك. فالسعادة أن يحيا العبد في رحاب عبادتك، وأن يجد أثر الإيمان في سلوكه وأخلاقه، وأن يستمد من ذكرك سكينه تعيينه على الحياة. وسمعوا وعدك يوقظ القلوب ويسكنها : **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**^١. فعلموا أن الذكر ليس كلمات تتحرك على اللسان فحسب، بل عبادة تحيي القلب، وتزكي النفس، وتعين العبد على الثبات والاستقامة.

وتذكروا قول النبي ﷺ: **ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**، متفق عليه. فعرفوا أن الغنى الحقيقي ليس بكثرة ما تملك الأيدي، وإنما بقناعة النفس، واستغنائها عما في أيدي الناس، وشكرها لما أنعم الله به عليها. وكلما استقام

القلب على الإيمان، وجد الإنسان من معاني الغنى ما لا تمنحه كثرة الأموال ولا رفعة المكانة.

ومن هنا بدأت نظرتهم إلى الحياة تتغير؛ فأصبحوا يرون النعم في تفاصيلها الصغيرة، ويدركون أن السعادة الأعمق ليست في امتلاك كل ما يريدون، وإنما في قلب يعرف المنعم، ويشكره، ويستعمل نعمته فيما يرضيه. وصارت كل عبادة فرصة لتزكية النفس، وكل ذكر بابًا من أبواب الخير، وكل سجود تذكيرًا بحقيقة الافتقار إلى الله.

 **ولأنك الله**، بدأت المخاوف تفقد شيئًا من سلطانها على قلوبهم؛ لا لأن الابتلاء غاب، ولا لأن الحزن انقطع، ولكن لأنهم عرفوا إلى من يلجؤون، وبمن يستعينون، ومن يرجون رحمته. فالطمأنينة الإيمانية لا تعني حياة بلا ألم، وإنما تعني أن العبد لا يواجه الألم بقلب خالٍ من الرجاء، بل يستعين بالله، ويحسن الظن به، ويصبر على ما أصابه، مؤمنًا بأن الله حكيم فيما يقضي ويقدر، وإن خفيت عليه وجوه الحكمة.

وعلموا أن القرب من الله ليس قرب مسافة، وإنما هو قرب عبادة وطاعة ومحبة وإخلاص. وكلما جاهد الإنسان نفسه على الخير، كان أخرى بالهداية والتوفيق، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

١ العنكبوت: ٦٩

ثم أدركوا أن أثر الإيمان لا ينبغي أن يبقى في حدود الشعور؛ فصدق العبودية يظهر في العمل، وتظهر محبة الله في الرحمة والإحسان ونفع الناس. فالسعادة الإيمانية لا تنحصر في العبادة الفردية، بل تمتد إلى تفريج الكربات، وقضاء الحاجات، وإعانة المحتاج، والكلمة الطيبة، وإدخال السرور على القلوب. وهكذا تكتمل معاني السعادة: أن يعرف الإنسان ربه، ويعبده، ويستعين به، ويرجو رحمته، ثم يظهر أثر ذلك في أخلاقه وأعماله وعلاقته بالناس؛ فتكون كلماته باعثة على الأمل، ويده ممدتين بالعون، وقلبه رحيماً بمن حوله.

 **ولأنك الله**، نسألك يا رب أن تجعل قلوبنا متعلقة بك، مستعينة بك، شاكرة لنعمك، ثابتة على طاعتك، راجية رحمتك. ونسألك أن تجعل ما أنعمت به علينا عوناً على الخير، وما ابتليتنا به سبباً للصبر والافتقار إليك، وأن تهب لنا من السكينة ما يعيننا على طاعتك وحسن عبادتك وعندها يتبين أن السعادة الحقيقية ليست فرحاً عابراً يزول بزوال أسبابه، ولا حياة تخلو من الحزن والابتلاء؛ وإنما هي إيمان يمنح الحياة معناها، وقناعة تحفظ القلب من الجشع، ورجاء يضيء الطريق، وعبادة تزكي النفس، ورحمة يمتد أثرها إلى الناس. فكلما استقام القلب على طاعة الله، وجد في الحياة من المعاني ما لا تمنحه متاع الدنيا وحده.

تطبيق عملي للتركيز

اجعل لمحبة الله أثرًا في سلوكك، وأثرًا طيبًا في حياة عبادته. ضع لنفسك في كل أسبوع أو شهر هدفًا عمليًا لتفريج كربة إنسان؛ بصدقة، أو جهد، أو شفاعاة حسنة، أو معلومة نافعة، أو مواساة صادقة.

اصنع السرور بالأعمال التي قد تبدو صغيرة في أعين الناس، وهي عند الله عظيمة بأثرها وإخلاصها: كلمة طيبة، أو هدية، أو دعاء بظهر الغيب، أو إطعام محتاج، أو قضاء حاجة دون انتظار مقابل.

إذا استطعت أن تعين إنسانًا في حاجته، فلا تكتفِ بالدلالة على الخير إن كنت قادرًا على السعي معه؛ فقد تكون خطوة يسيرة منك سببًا في تيسير أمره، وقد يكون من العمل ما يبدو صغيرًا، ثم يترك في نفس صاحبه أثرًا لا يُنسى.

واجعل لك نصيبًا ثابتًا من خدمة الناس وإدخال السرور عليهم، ونصيبًا من العمل الخفي الذي لا يعلمه إلا الله؛ حتى لا تبقى المحبة معنى في القلب فحسب، بل تظهر آثارها في الرحمة والإحسان والبذل، ويصبح صلاح القلب طريقًا إلى إصلاح ما حوله.

معرفة الله وأسمائه الحسنی

حين يستيقظ السؤال في القلب، لا يبقى السؤال غايةً في ذاته؛ إذ لا يكفي أن نعرف أننا بحاجة إلى الله، بل نحتاج أن نعرف ربنا كما عرّفنا بنفسه، وأن نتأمل أسماءه الحسنی وصفاته العلی، وأن نعيش آثار معرفته في الرجاء والخوف والمحبة والتوكل.

كلما عرف القلب ربه، تغيّر نظره إلى الحياة؛ فإذا ضاق به الأمر عرف أن له ربًا رحيماً، وإذا أثقلته الذنوب تذكر سعة المغفرة، وإذا وقف عاجزاً أمام ما لا يستطيع تغييره علم أن له رباً حكيمًا، وإذا خاف من المستقبل تذكر أن الأمر كله لله؛ فتتحول المعرفة من معلومة في الذهن إلى يقين يسكن القلب ويهذب السلوك.

سنقترب من أسماء الله الحسنی، لا لنحيط بجلاله، فالله أعظم من أن يحيط به عقل، ولكن لتعلم كيف نتعبد له بأسمائه، وكيف نرجوه ونخافه ونحبه ونستعين به؛ فمعرفة الله ليست نهاية الطريق، وإنما هي بداية المحبة الصادقة والعبودية الصادقة.

لأنك الله

 **لأنك الله** أكتب عنك، وأستغفرُكَ من كل تقصيرٍ تسلَّل إلى قلبي، ومن كل لفظٍ عجز عن أن يفي بعظمة جلالك، وأرجو عفوك فيما قُصِر عنه البيان؛ فأنت القائل، جل جلالك:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^١.

فكيف يُحاط بوصف من أحاط علمه وقدرته بكل شيء، وكيف تُستقصى عظمة من لا يحيط الخلق به علمًا؛ سبحانه أعظمك، وما أجمل أسماءك وصفاتك، وما أوسع رحمتك، وما أعظم كرمك؛ تباركت يا ذا الجلال والإكرام

 **لأنك الله** أكتب عنك، وأنت الذي ألهمتني الفكرة، وحرَّكت في قلبي الرغبة، وفتحت لي باب الذكر من حيث لا أدري؛ سبحانه ما أعظمك.

أكتب عنك، وقلبي يتأمل آثار رحمتك ونعمك، وكل خفقة فيه تشهد بوحدانيتك؛ فأرى من آثار هدايتك ولطفك ما يبعث الطمأنينة في النفس، لا صورة تُرى ولا ذاتًا تُدرك، وإنما سكينته يقذفها الله في القلب، فيلين بها بعد قسوته، ويستقيم بها بعد اضطرابه، ويعود إلى ربه كلما باعدته عنه الغفلة

١ سورة الزمر: ٦٧

وأسمع معنى الحمد يتردد في صدري، وأنا أتلو آياتك الكريم:
﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١

فلك الحمد يا الله؛ حمدًا يليق بجلالك، حمدًا طيبًا مباركًا فيه،
حمدًا لا يبلغه عدّ، ولا يستوفيه وصف؛ ولك الحمد على ما
أوليت من النعم الظاهرة والباطنة، وما دفعت من النقم، وما
سترت من العيوب، وما فتحت من أبواب التوبة والإنابة.
ولك الحمد على أسرار رحمتك التي قد تخفى عن أعيننا، ثم
تظهر آثارها في أعماق أرواحنا؛ فكم من كربة جعلتها بابًا إلى
القرب، وكم من انكسارٍ ردّ القلب إليك، وكم من تأخيرٍ كان
وراءه لطفٌ لم ندركه إلا بعد حين.

ولأنك أنت الله، أسألك أن تجعل حواسي عامرةً بذكرك، وألا
تتية في ضجيج الدنيا، ولا تضعف أمام الفتن والشهوات؛
وأسألك قلبًا ثابتًا على طاعتك، وروحًا صادقةً في محبتك،
وإخلاصًا لا يكون موسميًا، بل يزداد رسوخًا كلما تعاقبت الأيام.
وأسألك أن تتقبل مني بفضلك ورحمتك، وأن تجعلني ممن
رضيت عنهم، وأن تغفر تقصيري، وتتجاوز عن زلي يوم
اللقاء؛ واجعلي مطمئنًا بك، حسن الظن بك، مستسلمًا
لشرعك وحكمك، لا لأن البلاء غاب، ولكن لأن اليقين بالله

١ سورة غافر: ٦٥

حضر-؛ ولا لأن الطريق خلا من الألم، ولكن لأن القلب عرف من يتوكل عليه.

ولأنك الله أكتب لأنك الله في زمنٍ تثقل فيه جراح أمتنا، وتتزاحم فيه الشهوات والشبهات، وتكثر فيه أسباب الغفلة؛ فنسألك ألا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وألا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، وألا تجعلنا من القاسية قلوبهم، الذين طال عليهم الأمد فابتعدوا عن الذكر، وغلبتهم زخارف الحياة عن الاستعداد للرجوع إليك.

ولأنك الله  أسألك أن تتقبل هذه الكلمات، وأن تجعلها تذكرةً لي قبل غيري، وسبباً في الخير لمن قرأها بقلبٍ حاضر، وأن لا تجعل فيها رياءً ولا عجباً ولا قولاً بغير علم؛ واجعلها حديث افتقارٍ وعبوديةٍ وثناءٍ عليك، وذكرياً دائماً أنك الغني ونحن الفقراء، وأنا لا غنى لنا عن فضلك ورحمتك طرفة عين؛ إنك أنت السميع العليم، وأنت أرحم الراحمين

❖ **تطبيق عملي للتزكية:** خصص وقتاً يومياً فقط للأعمال التالية:

- اقرأ فيها ما استطعت من كتاب الله كورد ثابت؛
 - ثم قل في قلبك دون تكلف: سبحانك، هذا مقامك، وأنا عبدك.
 - لا تطلب شيئاً... فقط عظم.
- هذا التمرين يربّي: حضور القلب ويصحح نية العبادة ويمنع تحوّل الذكر إلى عادة بلا أثر.

في رحاب الأسماء الحسنى

 **لأنك الله** يجد المسلم نفسه ألجأ إلى أسمائك الحسنى حين يعجز لسانه عن أداء حق حمدك والثناء عليك؛ أسمائك التي عرّفنا بها، فكان في معرفتها بابٌ إلى تعظيمك، وفي تدبر معانيها نورٌ يهدي القلب إلى حسن عبادتك؛ وحين يتأمل العبد رحمتك ومغفرتك ولطفك، يجد آثار ذلك في قلبه رجاءً وسكينَةً وانكسارًا بين يديك، كالأرض العطشى. حين ينزل عليها الغيث، فتخضر بعد الجذب، وتستعيد شيئًا من الحياة.

 **ولأنك الله** يتأمل العبد سعة مغفرتك، فيرجو عفوك، ويستحي من تقصيره، ويعلم أن رحمتك ليست ثمرة استحقاقه، وإنما فضلٌ منك وكرم؛ فإذا أقبل عليك بالتوبة والدعاء، لم يجعل شعوره دليلًا على استجابتك، وإنما أحسن الظن بك، وسألك من فضلك، وانتظر خيرك بقلبٍ خاشع.

 **ولأنك الله** علام الغيوب، تعلم خفايا النفوس وما تخفي الصدور، وتعلم ما عجز العبد عن التعبير عنه لذلك لا يحتاج في دعائه إلى زخرف القول؛ يكفيه صدق الافتقار، وحسن الرجاء، والوقوف بين يديك بقلبٍ يعلم أنك تسمع دعاءه وتعلم حاجته.

 **ولأنك الله** يدرك أن أسمائك الحسنى ليست ألفاظًا تُردد فحسب، بل هي أسماء دالة على كمال عظمتك وجلالك وجمالك، يتعبد لك العبد بمعرفتها، ويدعوك بها، ويستحضر-

معانيها في عبادته وسلوكه؛ وقد قلت سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^١.

وقد علّم النبي ﷺ أمته دعاءً عظيمًا عند الهم والحزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي^٢.

🌱 ولأنك الله ألهمنا أن ندعوك بأسمائك صدقًا وفهمًا، لا بمجرد ترديد الألفاظ، وأن نجمع بين معرفة معانيها وحسن العمل بمقتضاها.

🌱 ولأنك الله اجعل أسماءك الحسنى نورًا يهدي حياتنا، وزادًا يثبت قلوبنا، وارزقنا فهم معانيها والعمل بما تقتضيه من عبودية وخشية ورجاء؛ اللهم علّمنا أن ندعوك بها في حاجاتنا، وأن نتأمل معانيها دون تكلف، وأن نجعلها سببًا لزيادة الإيمان وحسن السلوك؛ وإذا ضاقت بنا الدنيا، فذكّرنا برحمتك، وإذا أثقلتنا الذنوب، فافتح لنا باب التوبة، وإذا اضطربت قلوبنا، فردّها إلى كتابك وذكرك.

١ الأعراف: ١٨٠

٢ ابن القيم، أعلام الموقعين (١/١٥٠) • صحيح • أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان

(٩٧٢) واللفظ لهما،

❖ تطبيق عملي للتزكية:

خصص لحظات من يومك لتدبر اسم من أسماء الله الحسنى، فتقرأ معناه من مصدر موثوق، ثم ادعوا الله به بما يناسب حاجتك؛ فإذا تأملت اسم الرحمن، تذكر سعة رحمة الله، ورجاها، وأقبل على الطاعة، ورحمة الخلق؛ حتى تتحول معرفة الاسم من معلومة في الذهن إلى عبادةٍ وأثرٍ يظهر في القلب والعمل.

في ظلال اسمك الرحيم

يمرّ بالمسلم يومٌ يتلوه يوم، ويبقى في أعماقه سؤالٌ يوقظ فيه معنى الفقر إلى الله: ما أعظم رحمتك يا رب، وكيف تتسع لعبدٍ يكرر التقصير، ويعرف من ذنوبه ما يعرف، ويجهل من آثارها ما يجهل؟ ثم يتأمل نعمك التي تتوالى عليه، فلا يجد في عمله ما يفسّر هذا الفضل، فيزداد افتقارًا إليك، ويعلم أن ما يناله من النعم ليس استحقاقًا منه، وإنما هو من فضل الله ورحمته.

ولأنك الله  يجد في كتابك ما يفتح له باب الرجاء، فتتردد في قلبه الآية: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^١؛ فيفهم أن سعة الرحمة ليست إذنا بالغفلة، ولا تبريرًا للمعصية، وإنما هي بابٌ مفتوح للتائبين، وفسحة أملٍ لمن أذنب ثم رجع، ودعوة إلى ألا يقنط العبد من فضل ربه؛ فالرحمة لا تلغي الحساب، وإنما تحثّ على التوبة قبل فوات الأوان، وتفتح للعبد طريق الإصلاح ما دام في زمن العمل.

ولأنك الله

كلما أثقلت العبد ذنوبه، تعلّم ألا يجعلها سببًا للقنوط، ولا أن يجعل رجاءه ذريعة للإقامة عليها؛ فإذا زلّت قدمه، كان الصدق أن يعترف، ويستغفر، ويجاهد نفسه على ألا يعود؛ فليس الكريم من يجعل العبد آمنًا من العقوبة مع إصراره، وإنما من

١ الأعراف: ١٥٦

يفتح له باب التوبة، ويحبب إليه الرجوع، ويعينه على إصلاح ما أفسد.

وفي دعاء ذي النون عليه السلام معنى يختصر- طريق الرجوع كله؛ اعتراف بالتوحيد، وتنزيه لله، وإقرار بالتقصير: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، إِيَّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له^١.

فما أعمق هذا الدعاء؛ لا يبدأ بتبرير النفس، ولا بإلقاء اللوم على الظروف، وإنما يبدأ بتوحيد الله وتنزيهه، ثم باعتراف العبد بضعفه؛ وحين ينكسر- العبد بين يدي ربه بهذا الصدق، يعرف موضعه الحقيقي: عبدٌ محتاج، وربٌّ كريم، ومغفرةٌ يُرجى فضلها، وتوبةٌ يجب أن تُطلب.

ولأنك الله

أتذكر دعاء أبينا آدم وزوجه عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٢؛ لم يكن في دعائهما ادعاءٌ استحقاق، ولا محاولةٌ لتجميل الخطأ، بل اعترافٌ صادقٌ بالذنب، وسؤالٌ للمغفرة والرحمة؛ وهكذا يتعلم القلب أن أقرب الطرق إلى الإصلاح أن يرى تقصيره بصدق، ثم يعود إلى ربه دون يأس.

١ الألباني، صحيح الترمذي (٣٥٠٥) • صحيح • أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي

في ((الكبرى)) (١٠٤١٦)

٢ الأعراف: ٢٣

ولأنك الله

فإن رحمتك أوسع من أن يحملها وصف، وأعظم من أن يحيط بها قلب، لكنها رحمة تقود إلى الطاعة ولا تبرر المعصية؛ ولذلك جاء تمام الآية: ﴿فَسَأْأُكُتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^١؛ فيبقى الرجاء مقرونًا بالعمل، والخوف باعثًا على الاستقامة، والتوبة طريقًا لا مجرد أمنية. وقد يمر الإنسان بلحظة غفلة يظن فيها أنه ابتعد كثيرًا، ثم يستيقظ ضميره فيعود إلى ربه باستغفار صادق، أو صلاة خاشعة، أو دعاء خفي؛ ولا يدري العبد ما الذي كتب له من القبول، ولا يجوز له أن يزيكي نفسه، لكنه يستطيع أن يحسن الظن بربه، ويصدق في التوبة، ويأخذ بأسباب المغفرة.

❖ تطبيق عملي للزكية:

كلما شعرت بتقصير أو ذنب، لا تتأخر في العودة إلى الله، تذكر دائمًا أنه رغم ضعفك، رحمته لا حدود لها.

ابدأ يومك بدعاء استغفار، واجعل لنفسك عادة في ترداد ذكر لا إله إلا أنت، سبحانه، إني كنت من الظالمين لتذكر قلبك بحقيقة التوبة مع كل مرة تستغفر فيها، اعزم على تصحيح الأمر فورًا، وستجد أن رحمة الله تجدك في أقرب لحظة.

كلما استغفرت عن ذنب اليوم، اقرن الاستغفار بعمل رحمة واحد: عفو عن أساء إليك، أو دعاء لمن آلمك، أو

إِحْسَانٌ خَفِيٌّ؛ بهذا يتحوَّل طلب الرحمة إلى خُلُقٍ يُمارَس، لا مجرد شعورٍ يُردَّد.

الله الكافي جل جلاله

حين يفقد الإنسان ما اعتاد الاتكاء عليه، تتداعى من حوله الأسس التي كان يظنها ثابتة؛ ويختل توازنه حين يخذله الناس في الوقت الذي يكون فيه بأمرّ الحاجة إليهم؛ تضيق السبل أمامه، وتنكمش المساحات التي ظنها مأوى، ويتسلل إلى قلبه شعور بالعجز، حتى يخيل إليه أن الدنيا قد أطبقت عليه، ويثقل على نفسه احتمال الصبر.

لكن في تلك اللحظة، قد يلتفت العبد إلى ربه بقلبٍ يستحضر- قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^١؛ فلا تكون كفايته في كثرة الأسباب، ولا في اجتماع الخلق حوله، وإنما في توكله على الله، مع أخذه بما أتاح له من أسباب؛ وحين يضيق به ما في يده، يتسع له باب الرجاء، ويجد في ذكر الله سكينته، وفي دعائه ملجأ، وفي حسن التوكل قوة تعينه على احتمال ما نزل به.

ولأنك الله

فأنت الكافي لعبدك، والمعين لمن استعان بك، والوكيل لمن فوّض أمره إليك؛ فإذا غابت بعض الأسباب، لم يكن ذلك دليلاً على غياب رحمتك؛ وإذا خذلت وجهه كان يرجوها، بقي بابك مفتوحاً، وبقيت قدرتك فوق كل سبب؛ فيتعلم أن التوكل عليك ليس إلغاءً للأسباب، ولا استعلاءً على الخلق، بل اعتماد القلب عليك مع السعي فيما أقدر عليه، وترك النتائج لحكمتك.

١ الزمر: ٣٦

وأنت الحسيب والوكيل، حين تضيق الحيل وتراجع الثقة بالناس؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^١؛ عندها لا يعني الاطمئنان أن الهموم ستزول كلها، ولا أن الطريق سيخلو من المشقة، وإنما أن القلب لا يواجهها وحده؛ يستمد عونه من ربه، ويرجو تديره، ويعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وكما مرّ الإنسان بعجز أو تشتت أو ضعف، كان التوكل يعيد إلى نفسه شيئاً من الاتزان؛ فيبذل وسعه دون أن يعبد الأسباب، ويطلب العون من الخلق فيما يقدرون عليه، دون أن يجعل قلوبهم موضع تعلقه المطلق؛ وحين تتزلزل بعض دعائمه، يتذكر أن أعظم ما يملكه هو الافتقار إلى الله، وأن السكينة قد تأتي لا بتغير الظروف، بل بتغير نظر القلب إليها.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

 بث شكواك لله أولاً، فهو مسبب الأسباب، واجعل مناجاتك تفويضاً وملاذاً عند الضيق والكربات.

 إستخر الله سبحانه وتعالى، ثم توكل على الله بما اطمأنت إليه نفسك ثم سلّم الأمر كله لله قائلاً بيقين: لا حول ولا قوة إلا بالله وعلى الله ربنا توكلنا واليه يرجع الأمر كله؛ فهذا الجمع بين الاستخارة والأخذ بالأسباب وتسليم القلب لله يرّي التوكل الصادق، ويحوّل الكفاية من معنى إلى ممارسة واقعية.

إرضَ باختيار الله بعد الدعاء، وخذ بالأسباب الميسورة
لك فالكفاية في الاعتماد عليه لا في كثرة الأسباب.

القريب المجيب

حين يمر المسلم بضيق أو حيرة، قد يجد في الدعاء ملجأً يعيد إلى قلبه شيئاً من السكينة؛ فيرفع يديه إلى الله بما يحمل من خوف ورجاء وندم، ويعلم أن ربه يسمع دعاءه ويعلم سره وعلايته؛ ليست المناجاة حديثاً عن قرب مكاني، وإنما هي عبادة يفتقر فيها العبد إلى ربه، ويرجوه، ويستعين به، ويستحضر عظيم علمه ورحمته.

 ولأنك الله

قلت لعبادك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^١؛ ففي هذه الآية يجد الداعي باباً من الرجاء؛ فأنت قريب من عبادك القرب اللائق بجلالك، تسمع دعاءهم وتجيب من دعاك، وتدعوهم في الوقت نفسه إلى الإيمان والاستجابة لك؛ وحين يستحضر العبد ذلك، لا يحتاج إلى تصنع مشاعر خاصة، بل يكفيه أن يصدق في دعائه، ويجعل قلبه متعلقاً بك دون أن يزعم مقاماً أو حالاً لا يعلم حقيقتها. وقد يرفع المسلم يديه مرات، ثم يتأخر عنه ما سأل، فيحتاج إلى الصبر وحسن الظن بالله؛ وقد قال النبي ﷺ: يُسْتَجَاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي؛ فالتأخر لا يعني الحرمان، كما أن الإجابة لا يلزم أن تأتي بالصورة التي

١ سورة البقرة: ١٨٦

تصورها العبد؛ وإنما يسأل ربه الخير، ويوقن أن الله أعلم بما يصلحه، وأرحم به من نفسه.

🌱 ولأنك الله

يتعلم القلب أن الدعاء ليس وسيلة للحصول على كل ما يريد، بل عبادة تجمع الافتقار والرجاء والاستعانة؛ فإذا دعا العبد، بذل ما يستطيع من الأسباب المشروعة، ثم فوّض النتائج إلى الله، ولم يجعل إيمانه معلقًا بتحقيق مطلب بعينه؛ فإن أُعطي حمد، وإن تأخر عنه المطلوب صبر، وإن صُرف عنه ما لا يعلمه حمد الله على لطفه، ورجا أن يكون في تديره ما هو أصلح له.

وحين يطول الانتظار، قد يجد العبد نفسه أهدأ وأقرب إلى مراجعة قلبه؛ فيسأل الله أن يصلح قصده، ويغفر تقصيره، ويهديه إلى ما يحب ويرضى؛ وهنا يظهر أثر الدعاء في النفس، لا بوصفه ضمناً لنتيجة محددة، بل بوصفه باباً متجدداً للعبودية، يذكر الإنسان بأنه فقير إلى ربه في كل حال.

🌱 ولأنك الله

لا يجد القلب سعادته في التعلق بالمخلوقين ولا في الاستغناء عنك، وإنما في صدق العبودية لك، مع الأخذ بالأسباب ومخالطة الناس بما يصلح أمره؛ فكلما عاد إليك في ضعفه، وجد الدعاء يثبتته، وفي الرجاء يفتح له الأمل، وفي التسليم ما يعينه على احتمال ما لا يستطيع تغييره.

اللهم إني أتيتك بقلب يرجو رحمتك، ويقر بضعفه وتقصيره؛ فلا تكلني إلى نفسي، وأعني على طاعتك، وعلمني أن أدعوك

بإخلاص، وأن أصبر إذا تأخرت الإجابة، وأن أحسن الظن بك دون أن أتكلف علم ما غاب عني؛ اللهم ارزقني قلبًا مطمئنًا بذكرك، مستعينًا بك، راجيًا فضلك، راضيًا بما تقضي، واجعل دعائي سببًا لصلاح قلبي وعملي، وثبتني على الإيمان حتى ألقاك.

✽ تطبيق عملي للتزكية:

 خصص كل يوم لحظات تهدأ فيها النفس، وتقبل فيها على الله بالدعاء والذكر، مستحضرًا أنه يعلم سرّك وعلانيتك، ويسمع دعائك؛ ليكون عبادةً صادقة، لا مجرد كلمات.

 إذا تأخرت الإجابة، فلا تقنط ولا تستعجل، بل جدد دعائك، وراجع قلبك، واصبر، وأحسن الظن بالله، مع التسليم بأن حكمته أوسع من إدراكك، وأن الإجابة قد تأتي على غير الصورة التي طلبتها.

 تحويل الدعاء إلى عبادة حية: ليجعل العبد دعاءه تعبيرًا عن الافتقار والرجاء والخشوع، ولا سيما في المواضع التي يُشرع فيها الإكثار من الدعاء، كالسجود وقبل السلام؛ وليحرص أن يترجم دعاءه إلى عمل صالح، وثقة بالله، وصبر عند تأخر ما يرجوه.

أنت المستعان الحقيقي

حين يعجز العبد عن حمل مسؤولية ثقيلة، وتضعف عزمته أمام أمرٍ يشق عليه، يعود إلى ربه مستعينًا به، مستشعرًا فقره إلى قوته وتوفيقه؛ فلا يرى ضعفه نهاية الطريق، بل دافعًا إلى الاستمداد من الله، ثم الأخذ بالأسباب الممكنة؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١؛ فالسعي مع الاستعانة بالله باب من أبواب الهداية، وليس التوكل تركًا للعمل أو انتظارًا للفرج دون سبب.

ولأنك الله

يعلم العبد أن ما يملكه من قوةٍ وعلمٍ وقدرة إنما هو من فضل الله؛ فإذا أحسن السعي، ثم رأى من نفسه ضعفًا أو قصورًا، لم يستسلم لليأس، بل رجع إلى ربه بالدعاء والاستغفار، واستمد منه العون على إتمام ما يستطيع؛ وما يحققه من خيرٍ فهو بتوفيق الله، مع أخذه بالأسباب التي أقدره الله عليها؛ فيتعلم أن الاعتماد على الله لا ينافي العمل، بل يصحح قصده ويمنحه الثبات.

ولأنك الله

علّمنا نبينا ﷺ حقيقة التوكل فقال: لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا وتروح بطانًا رواه الترمذي؛ فالطير لا تبقى في أوكارها تنتظر الرزق، بل تغدو

١ العنكبوت: ٦٩

وتسعى، ثم يعود فضل الرزق إلى الله؛ وهكذا يجمع التوكل الصادق بين اعتماد القلب على الله، وحركة الجوارح في طلب ما ينفع.

فالتوكل ليس ضمانًا بأن تأتي الأمور كما يريد العبد، ولا وعدًا بزوال كل صعوبة، وإنما هو ثقة بالله، واستعانة به، وأخذ بالأسباب، ورضا بما يقدره بعد بذل الوسع؛ وقد يفتح الله بابًا لم يكن العبد يتوقعه، وقد يصرف عنه ما ظنه خيرًا، وفي الحالين يبقى المؤمن محتاجًا إلى ربه، مستعينًا به، راضيًا بحكمه.

ولأنك الله

أسألك أن تجعل قلبي متعلقًا بك دون أن يركن إلى الأسباب وحدها، وأن تعينني على العمل بما أستطيع، وتوفقني لما فيه الخير، وتثبتني إذا تعثرت، وتردني إليك إذا غفلت؛ ولا تجعل خوفي من العجز سببًا لترك ما أقدر عليه.

تطبيق عملي للتزكية:

عندما تشعر بالعجز، توقف لحظة، واستحضر— أن التوكل عبادة قلبية تجمع بين الاستعانة بالله وبذل السبب؛ ادعه بما تيسر، ثم حدد الخطوة التي تستطيع القيام بها الآن، وابدأ بها دون تسويف؛ ويمكن أن تقول: اللهم أعني ولا تعن عليّ، ويسّر لي الخير حيث كان، ووفقني لما تحب وترضى، واجبر قلبي، وقوّني على ما ينفعني، واصرف عني ما لا خير فيه؛ اللهم إني توكلت عليك، فدلّني على الصواب، وأعني على الأخذ بأسبابه، وارضني بما تقدره لي.

نهر الرحمة المتدفق

 **لأنك الله** يتعلم الإنسان مع الأيام أن العبادة ليست عبئًا يثقل النفس، بل بابٌ يجد فيه القلب سكينته، وتجد الروح غذاءها؛ وما كان يفعله يومًا بثقل وغفلة، قد يؤديه مع الوقت بحضورٍ ورجاء، فيصبح الذكر أكثر من كلماتٍ يجري بها اللسان، وتغدو الصلاة موطئًا لمراجعة القلب وتجديد صلته بربه.

وكما تأمل في أثر الذكر، وجد فيه معنى وعدك الصادق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١؛ فالسكينة ليست غيبًا للهموم، وإنما أن يجد القلب في ذكر الله ما يعينه على احتمالها، وفي الصلاة ما يردّه إلى عبوديته، وفي الدعاء ما يفتح له باب الرجاء.

ولأنك الله

يدرك العبد أن الطاعة ليست حركاتٍ تؤدى بالجوارح فحسب، بل عبودية تشمل القلب والقول والعمل؛ وبقدر ما يصدق في عبادته، ويجاهد هواه، ويستغفر من تقصيره، يظهر أثر الطاعة في سلوكه وحياته؛ وليس كمال العبودية أن يرى نفسه قد بلغ مقامًا خاصًا، بل أن يظل محتاجًا إلى ربه، خائفًا من التقصير، راجيًا القبول، سائلًا الله الإخلاص والثبات.

١ الرعد: ٢٨

والعبودية لله ليست فقدًا للإنسان، بل تحريراً له من أسر الهوى والتعلق بما يبعده عن ربه؛ وحين يعود العبد إلى الله بعد غفلة، أو زلة، يدرك أن باب التوبة أوسع من خطئه، وأن الرحمة التي وعد الله بها عباده تدعوه إلى الرجوع، لا إلى اليأس.

ولأنك الله

يجد المؤمن في وعدك لعبادك المخلصين ما يقوي قلبه على مجاهدة الشيطان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^١؛ فيعلم أن النجاة ليست في ادعاء القوة، وإنما في الاعتصام بالله، والاستقامة على طاعته، والاستعاذة به من الفتن، والرجوع إليه كلما زلّ أو ضعف.

وفي حياة متقلبة الأحوال، يبقى القلب محتاجاً إلى رحمتك في كل حال؛ فإذا قصر، استغفر، وإذا ابتلي، صبر، وإذا أنعم عليه، شكر، وإذا ضاقت به نفسه، عاد إليك.

تطبيق عملي للتزكية:

 ارحم: اجعل رحمة الله باعثاً على الرحمة بالناس؛ فتبسم في وجههم، وأعن محتاجهم، والتمس لهم العذر، وأحسن إليهم في القول والفعل.

 أحسن: استحضر مراقبة الله في تعاملك، واجعل إحسانك إلى أهلك وجيرانك ومن حولك عبادةً ترجو بها الأجر والرحمة، مهما بدا العمل صغيراً.

اعفُ : إذا قدرت على العفو، فاجعله خُلُقًا تسعى إليه، ولا تجعل الإساءة سببًا للظلم أو الانتقام؛ رجاءً في فضل الله، وتربيةً للنفس على الرحمة والإحسان.

في ظلال المغفرة الواسعة

لأنك الله

فإن ما يمر بالعبد من أقدار، مهما بدا صعبًا أو محيرًا في بدايته، قد يعيده إلى حُسن الظن بك، وإلى تسليم الأمر لك، واستحضار أن لك الحكمة البالغة والرحمة الواسعة؛ كان يشعر، كلما ضاقت به الأيام، أن الرضا ليس إنكارًا للألم ولا استسلامًا للعجز، بل سكون القلب إلى ما قدر الله، مع بقاء العبد قائمًا بما يستطيع من أسباب الصبر والإصلاح؛ وتعود إلى قلبه الآية الكريمة: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^١؛ فيدرك أن الإنسان يرى ظاهر الأشياء، أما علم الله فمحيط بما خفي من العواقب والحكم.

ولأنك الله

يتعلم العبد أن الغنى الحقيقي لا يقاس بكثرة ما في اليد، وإنما بما يستقر في القلب من قناعة وشكر، وأن فقد بعض ما يرجوه لا يعني فقد الخير كله؛ وحين تنزل به ضائقة، قد لا يعرف لماذا وقعت، ولا يملك أن يجزم بما تخبئه له الأيام؛ لكنه يستطيع أن يحسن الظن بربه، وأن يرجع إليه بالدعاء، وأن يوقن بأن الله لا يظلم عباده، وأن قضاؤه قائم على الحكمة؛ وفي معنى القناعة والرضا جاء الحديث: وارضَ بما قسم الله لك تكن

١ سورة البقرة: ٢١٦

أغنى الناس، رواه الترمذي وأحمد، وقد حسنه بعض أهل الحديث؛ فيجد العبد في هذا المعنى بابًا إلى الطمأنينة؛ لا لأن كل ما يقدر له سيكون موافقًا لهواه، بل لأن قلبه يتعلم ألا يجعل سعادته معلقة بتحقيق كل ما يريد.

ثم يتأمل قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^١؛ فيفهم أن الرضا منزلة جليلة، وأن ثمرة الرضا الأعظم ليست مجرد راحة عابرة، بل ما يثمره من عبودية لله، وثبات عند البلاء، وشكر عند النعمة، وحسن رجوع إليه في كل حال.

 **ولأنك الله** يصبح كل يوم مجالًا لتجديد الإيمان، وتربية النفس على الصبر والشكر، واستمداد السكينة من الثقة بك، من غير دعوى معرفة الغيب أو الجزم بحكمة كل حادثة؛ وقد يمر الإنسان بما يثقل قلبه، ثم يكتشف بعد زمن أن تلك التجربة علمته الصبر، وكشفت له ضعفه، ودفعته إلى باب الدعاء والافتقار إليك؛ وحينها يقول: يا رب، لا أعلم سر كل ما يجري، لكني أعلم أنك ربي، فألجأ إليك، وأستعين بك، وأسألك أن ترزقني قلبًا صابرًا راضيًا، ونفسًا مطمئنة بذكرك، وبصيرته تحسن فهم ما أعلمه من أيامي؛ فليس الرضا أن يرى العبد كل

١ التوبة: ١٠٠

شيء جميلًا، وإنما أن يعبد الله في الجميل والمؤلم، ويظل قلبه متعلقًا به، راجيًا رحمته، مستعينًا به، وحسن الظن بتدييره.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 كلما شعر العبد بثقل الذنوب على قلبه، فليبادر إلى التوبة والاستغفار، وليدعُ الله بصدق: اللهم اغفر لي، وارحمني، وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم؛ وليستغفره بقلب حاضر، مستشعرًا فقره إلى عفوه ورحمته.

🌱 إذا أحاطت به الهموم، أو أثقلت آثار التقصير، فليجعل الاستغفار بابًا للرجوع إلى الله، وليتب إليه من ذنبه، ويجاهد نفسه على تركه، ويعزم بصدق على ألا يعود إليه؛ فإن زلَّ بعد ذلك، فلا ييأس من رحمة الله، بل يجدد توبته، ويأخذ بأسباب الاستقامة، جامعًا بين الخوف من التقصير والرجاء في عفو الله.

🌱 وليبدأ يومه بمحاسبة نفسه وتجديد توبته، ويسأل الله أن يصلح قلبه وعمله، وأن يجعل ندمه باعثًا على الطاعة، لا سببًا للقنوط؛ فالتوبة ليست كلمات تُقال فحسب، بل رجوع صادق إلى الله، وإقلاع عن الذنب، وعزم على الاستقامة؛ وليكثر من الدعاء: اللهم تب عليّ توبةً نصوحًا، وأصلح قلبي، وثبتني على طاعتك، وارزقني حسن الخاتمة.

القرآن والذكر والمناجاة

بعد أن يعرف القلب ربه، يحتاج إلى ما يجدد صلته به؛ فالقلوب تتقلب، والغفلة تتسلل، ومشغل الدنيا قادرة على أن تسرق من الإنسان صفاءه إن لم يكن له زاد يعود إليه كل يوم؛ ومن أعظم هذا الزاد: كتاب الله، وذكره، ودعاؤه.

القرآن ليس مجرد كلمات تقرأ، بل هداية يتلقاها القلب، وذكرى توقظه، وبصيرة تعينه على رؤية الطريق؛ والذكر ليس مجرد حركة للسان، بل عبادة تحيي القلب إذا اجتمعت فيها حضور النية وصدق التوجه؛ والدعاء ليس مجرد طلب للحاجات، بل افتقار العبد إلى ربه، وإقرار بحاجته إليه، ورجاء في فضله ورحمته.

وهنا تبدأ المساحة الأكثر هدوءاً في الرحلة؛ مساحة يجلس فيها الإنسان مع نفسه، يقرأ، ويذكر، ويدعو، ويناجي ربه بما شرع له من الدعاء؛ وفي تلك اللحظات قد يكتشف أن كثيراً مما كان يبحث عنه في الخارج كان يحتاج أولاً إلى أن يصلحه في الداخل.

نور القرآن الدائم

لأنك الله

يدرك المسلم حين يفتح كتابك أن آياته توقظ القلب، وتعيده من غفلة الدنيا إلى معنى العبودية؛ فالقرآن ليس حروفًا تُتلى فحسب، بل وحيٌّ أنزلته هدايةً للناس، يتدبره المؤمن، فيجد في آياته من الموعظة والبصيرة ما يعينه على إصلاح نفسه، والثبات أمام تقلبات الحياة؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^١.

ومع التلاوة المتدبرة، قد يهدأ اضطراب النفس، لا لأن القرآن يلغي مشكلات الحياة، ولكن لأنه يرد القلب إلى ربه، ويمنحه من الهداية والرجاء ما يعينه على مواجهتها؛ وكل آية تدعو إلى إيمان أو عمل أو صبر أو توبة، تفتح أمام العبد طريقًا لإصلاح حياته؛ فيقرأ ليفهم، ويفهم ليعمل، ويعمل ابتغاء مرضاة الله.

ولأنك الله

يجد المؤمن في القرآن نورًا يهديه، ورحمةً تحيي رجاءه، وشفاءً لما في القلوب من أمراض الشبهات والشهوات؛ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٢؛ فشفاؤه لا يعني أن كل حزن يزول فورًا، وإنما أن الوحي يهدي القلب إلى

١ سورة ص: ٢٩

٢ الإسراء: ٨٢

ما يصلحه، ويعينه على الصبر، ويقوده إلى التوبة، ويمنحه بصيرةً أصدق في النظر إلى نفسه ودنياه. وحين يجعل الإنسان للقرآن نصيبًا ثابتًا من يومه، تتغير علاقته بالوقت والأحداث؛ فيجد في التلاوة سكينه، وفي التدبر بصيرة، وفي العمل بما علمه القرآن حياةً أطيب؛ وكلما عاد إليه بعد غفلة، وجد بابًا مفتوحًا للمراجعة والإصلاح، فيتجدد إيمانه دون أن يزكي نفسه أو يدّعي بلوغ منزلة خاصة.

ولأنك الله

كان القرآن طريقًا إلى الهدى، لا مجرد ملاذ مؤقت من ضغوط الحياة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^١؛ فمن أراد أثره الحقيقي، لم يكتف بحسن التلاوة، بل سأل نفسه: ماذا علّمتني هذه الآية؟ وما الذي ينبغي أن أصلحه في قلبي وسلوكي؟ عندها يتحول القرآن من كلمات تُتلى إلى هداية تُعاش، ومن معرفة تُسمع إلى عملٍ يظهر أثره في الأخلاق والعبادة.

يا الله، اجعل القرآن ربيع قلبي، ونور هدايتي، ودليلاً لي إلى ما تحب وترضى؛ ارزقني تلاوته بتدبر، والعمل به بإخلاص، والرجوع إليه كلما أظلمت عليّ الطرق، واجعلي ممن يتعلمون آياته، ويتفكرون في معانيها، ويهتدون بهديها، ويظهر أثرها في أقوالهم وأعمالهم.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

يجب على المحب لله أن يحدد وقتًا مخصصًا لتلاوة القرآن يوميًا، سواء في الصباح الباكر أو بعد صلاة العصر، حيث يمكن التأمل في معاني آياته والتفاعل مع مضمونها بشكل أعمق وهذه العادة تعزز العلاقة بالله وتقوي القلب بالإيمان والطمأنينة.

في صحبة القرآن الدائمة

حين يفتح العبد كتاب الله، لا يراه مجرد كلمات تتعاقب على الصفحات، بل وحيًا أنزله الله هدايةً للناس، وذكرى توقظ القلوب، ونورًا يهدي إلى الصراط المستقيم. وكلما أقبل عليه بتلاوةٍ وتدبر، أبصر نفسه وحياته في ضوء هدايته، وتذكر ربه، واستبان له من الحق والخير ما يعينه على إصلاح دنياه وآخرته. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^١.

 ولأنك الله

يعلم العبد أن بركة القرآن لا تقف عند كثرة التلاوة، وإن كانت التلاوة عبادةً عظيمة، بل تظهر ثمرته حين يقود إلى التدبر والتذكر والعمل والاستقامة. فليس المقصود أن تمر الآيات على اللسان فحسب، بل أن توقظ القلب، وتنير البصيرة، وتصحح المسار، وترد العبد إلى ربه كلما شغلته الدنيا. وقد يجد في بعض الآيات ما يلامس حاجته ويوقظ معنيًا في نفسه؛ لا لأن الآية نزلت له خاصة، وإنما لأن هداية القرآن عامة، ينتفع بها العبد بقدر صدقه في طلب الحق وفهمه وتدبره. والقرآن لا يقتصر—أثره على إثارة المشاعر، بل يبني في القلب ميزانًا يميز به الحق من الباطل، والخير من الشر. وكلما طال مقام العبد مع كتاب الله، ازدادت حاجته إلى الفهم الصحيح،

ورد الآيات إلى سياقها، وسؤال أهل العلم فيما يشكل عليه؛ حتى لا يتحول التدبر إلى خواطر منفصلة عن مراد الله.

 **ولأنك الله** يجد العبد في هدوء الليل مجالاً أصفى للتلاوة والدعاء والمراجعة؛ فيقرأ القرآن بقلب حاضر، ويقف بين يدي ربه خائفاً راجياً، مستحضراً قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^١. فالليل يعين على محاسبة النفس وتجديد النية، ثم العودة إلى النهار بعزم أصدق على العمل.

وقال رسول الله ﷺ: **خيركم من تعلم القرآن وعلمه**. رواه البخاري. فتعلم القرآن لا يقتصر على حفظ ألفاظه، بل يشمل تعلم تلاوته وفهم معانيه وهديه، والعمل بما دل عليه، وتعليم ما تعلمه العبد على بصيرة. وحين ينتقل أثر القرآن إلى السلوك، يظهر في الصلاة، والأخلاق، والمعاملات، والصبر، والشكر، والعدل، والرحمة.

اللهم اجعل القرآن هدىً لقلبي، ونوراً لصدري، ودليلاً لي إلى ما تحب وترضى. ارزقني تلاوته بتدبر، وفهمه بعلم، والعمل به بإخلاص؛ ولا تجعل حظي منه ألفاظاً بلا أثر، ولا علماً لا أعمل به. اللهم علمني منه ما جهلت، وذكرني منه ما نسيت، وارزقني أن أقرأه فأفهم، وأفهم فأعمل، وأعمل فأخلص، واجعل القرآن حجةً لي، وسبباً لصلاح قلبي واستقامة عملي وحسن خلقي.

✿ تطبيق عملي للتزكية:

 **اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن:** خصص وقتًا ثابتًا، ولو خمس دقائق، تقرأ فيها بهدوء وتدبر، و اختر وقتًا يقل فيه الشواغل، كآخر الليل أو أول النهار، ليكون القلب أكثر حضورًا.

 **اقرأ بقلب حاضر:** تأمل الآيات في سياقها، واسأل نفسك: ماذا تعلمني؟ وما الخُلُق أو العمل الذي تدعوني إليه؟ وإذا مررت بآية رحمة، فاسأل الله من فضله، وإذا مررت بآية وعيد، فاستعذ بالله من التقصير؛ لتتحول التلاوة من حركة اللسان إلى عبادة يشارك فيها القلب.

 **حوّل الهداية إلى عمل:** اجعل لكل قراءة أثرًا في حياتك؛ فإذا قرأت عن الصبر، طبّق الصبر، وإذا قرأت عن العفو، راجع تعاملك مع من أساء إليك، وإذا قرأت عن الصدق والأمانة، فحاسب نفسك عليهما؛

 **اختم بمراجعة قصيرة:** بعد القراءة، اسأل نفسك: ما الآية التي أثرت فيّ اليوم؟ وما العمل الذي أستطيع تطبيقه بسببها؟ ثم ادعُ الله أن يعينك على العمل بما تعلمت؛ ومع الاستمرار، يصبح القرآن حاضرًا في قراراتك ومواقفك، وتتحول التلاوة إلى صحبة واعية تعين القلب على الهداية والاستقامة.

الطريق الذي لا نهاية له

سُئلت النفس يومًا، في لحظة صدق ووقوف مع القلب: لقد مضى- أكثر العمر، وما أسرع فواته؛ فكم بقي من الطريق؟ سؤال صغير في ظاهره، لكنه يحمل شوق السائر إلى حسن الخاتمة، وخوفه من أن يطول الطريق قبل أن يلقي الله؛ ومع ذلك، يبقى أجل الإنسان وخاتمته من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وفي تلك اللحظة، مرّت الآية على القلب كنسمة هادئة: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^١.

 ولأنك الله فغاية الطريق ليست عدد السنين التي مضت، ولا مقدار ما بقي منها، وإنما أن يمضي— العبد فيما يرضي ربه، حتى يكون مصيره إليه؛ فكل طاعة، وإن بدت صغيرة، وكل سجدة، وكل دعاء، وكل مجاهدة للنفس، لبنة في طريق العبودية؛ والهداية لا تكون إلا بتوفيقك، فنقول: اللهم اهدنا فيمن هديت.

 ولأنك الله أرحم الراحمين، فإن الابتلاء قد يكون سببًا لإيقاظ القلب، وردّه من الغفلة إلى الافتقار، وتذكيره بأن العبد مهما قوي يبقى محتاجًا إلى ربه في كل حين. وقد يثقل الإنسان بما اقترفت يداه، فيظن أن الطريق قد أغلق دونه؛ ثم تأتي آية من كتاب الله فتفتح في صدره نافذة من الرجاء: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

١ النجم: ٤٢

رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ^١.

ليست الآية دعوة إلى الاغترار، بل إلى التوبة والرجوع، وإلى ألا يتحول الذنب إلى يأس؛ فباب التوبة مفتوح ما دام العبد في زمن المهلة، ورحمة الله أوسع من خطايا التائبين.

 ولأنك الله كلما أثقلتنا الذنوب، ذكّرنا فضلك بأن لا نياس، وأن نعود إليك كلما زللنا، وأن نجعل من الندم بداية إصلاح، ومن الاستغفار طريقًا إلى الثبات.

يا رب، إن ضعفنا يوقعنا في الخطأ، وإن نفوسنا تتقلب، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين؛ اغفر لنا، وارحمنا، واهدنا سواء السبيل؛ اجعل رجاءنا فيك باعثًا على العمل، لا ذريعة للغفلة، وثبّت قلوبنا على طاعتك.

وأعنا على السير إليك بذكر يطمئن القلوب، واستغفار يمحو آثار التقصير، ودعاء لا ينقطع في الشدة، وإحسان إلى عبادك ابتغاء مرضاتك، وصحبة يومية مع القرآن تضيء لنا الطريق؛ واجعل ما نمر به سببًا للعودة إليك، وما بقي من أعمارنا خيرًا مما مضى، واختم لنا بالحسنى، واجعل آخر الطريق رضوانك والجنة.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

أنت في هذا الطريق: حاول اليوم أن تتأمل كل خطوة تقوم بها في حياتك اليومية هل تحقق لك التقرب إلى الله، واعتبرها خطوة تدربك على الثبات في إيمانك.

نظرة جديدة لذنبك: عندما تشعر بثقل الذنب، تذكر أن رحمة الله أوسع من كل ضعف؛ فاستغفره بروحك، ولا تيأس من العودة أبدًا.

التزام بالاستغفار اليومي: اجعل الاستغفار جزءًا من يومك، اجعل قلبك يردد كلما شعر بالثقل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واجعلي من العائدين إليك.

التوبة والرجوع إلى الله ليس مجرد كلمات تُقال، بل هو حالة قلبية دائمة تعني العودة المستمرة والتمسك بالأمل.

اليد التي لا تُخيب

كم مرّة مدّ العبد يده إلى الله ضارعًا، في خلوة صامتة أو دعاء خافت، وكم مرّة عاد إليه حين ضاقت به السُّبل، وتتابعَت عليه الهموم، فلم يجد ملجأً أصدق من ربه؟ في سرٍّ تذكّره بفضل الله، أو ضراءٍ تكشف له فقره وحاجته، كان يجد في الدعاء فسحةً لروحه، وفي ذكر الله سكينَةً تخفّف عنه وطأة القلق؛ ولم يكن ذلك يعني أن ما يرجوه سيأتي دائمًا بالصورة التي يريدها، لكنه كان يتعلّم أن اللجوء إلى الله عبادة، وأن التوكل عليه قوة للقلب، وأن المؤمن لا يضيع سعيه حين يجمع بين الدعاء والعمل، وبين الرجاء والأخذ بالأسباب.

ومع تكرار الأيام، يدرك المرء ما قد يعجز عن فهم الحكمة في لحظتها؛ فقد يطلب أمرًا، ثم يُصرف عنه، أو يرجو طريقًا، ثم يُغلق دونه، فيحسب ذلك أول الأمر حرمانًا، ثم يتبيّن له بعد حين أن وراء ما جرى حكمة لم يكن يراها؛ وهنا يستقيم الرجاء؛ فلا يتعلّق القلب بصورة واحدة للإجابة، ولا يجعل المشاعر الشخصية دليلًا قاطعًا على رضا الله أو سخطه، بل يحسن الظن بربه، ويستمر في الدعاء، ويعمل بما يستطيع، ثم يرضى بما قضى الله بعد بذل وسعه.

 ولأنك الله يتذكّر وعده الذي لا يتبدّل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^١؛ فتسكن في النفس معاني الكفاية، لا

١ الطلاق: ٣

بمعنى أن العبد يستغني عن الأسباب، بل لأنه يعلم أن الأسباب لا تستقلّ بالتأثير، وأن الأمر كله لله؛ فإذا اضطربت الحيل، لم يضطرب رجاؤه، وإذا كثرت المخاوف، عاد إلى ربه بالدعاء، مستعينًا به، راجيًا فضله، ومفوضًا إليه ما لا يملك دفعه.

وأنت الحي الذي لا يموت، لا إله إلا أنت؛ ولذلك يعود القلب إلى إخلاص القصد لك كلما تفرقت به السبل: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^١؛ عندها يتبين له أن الإخلاص ليس لفظًا يقال، بل عبادة وقصد يتجددان، وأن الحمد ليس خاتمة للكلام، بل معنى يسكن في القلب ويظهر أثره في النظر إلى النعم، وفي الصبر على البلاء، وفي الاعتراف بفضل الله في كل حال.

وقد يشعر العبد، في بعض لحظاته، بأن قلبه يحتاج إلى أن يتخفف من التعلق بما في أيدي الناس، لا جحودًا لفضلهم، ولا تركًا للأسباب، وإنما ردًا للقلب إلى من بيده ملكوت كل شيء؛ فيمد يده إلى الله قبل أن يمدّها إلى غيره، ويطلب منه العون والهداية والتوفيق، ثم يسعى فيما أتيح له من أسباب؛ فالتوكل ليس قعودًا عن العمل، كما أن الأخذ بالأسباب ليس اعتمادًا عليها؛ وإنما هو اجتماع سعي الجوارح، وافتقار القلب، وحسن الظن بالله.

يا رب، علّمني التوكل الحق؛ توكلَ قلبٍ يسعى ثم يفوّض،
 ويأخذ بالأسباب ثم يعلم أنها لا تستقل بشيء؛ علّمني أن
 أطلب هدايتك قبل أن أطلب تبدّل ظروفِي، وأن أحسن الظن
 بك دون أن أتكلّف معرفة الغيب أو أفسّر كل شعور يمرّ بي على
 أنه علامةٌ على رضاك؛ علّمني الصبر حين تتأخّر الإجابة،
 والشكر حين تتسع النعمة، والرجوع إليك حين تضيق النفس؛
 واجعلني ممن إذا اشتدت عليه الأمور لم يترك العمل، ولم
 يجعل الأسباب غايته، بل جعل قلبه مستعينًا بك، راجيًا
 فضلك، خائفًا من التقصير، راضيًا بحكمك بعد بذل وسعه؛
 واجعل في قلبي من السكينة ما يعينني على مواصلة الطريق،
 ومن البصيرة ما يردّني إليك كلما شغلتنِي الدنيا، ومن الصدق ما
 يجعل دعائي عبادةً لا مجرد طلب، وحمدي اعترافًا بفضلك،
 وتوكلي عليك عبوديةً تثمر عملاً وصبرًا وأملًا.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

قبل أيّ قرارٍ اليوم — صغيرًا كان أو كبيرًا — توقّف لحظة،
 وقل بقلبي حاضر: توكلتُ على الله؛ ثم اختر سببًا واحدًا
 مشروعًا يتعلّق به القرار، وخُذ به إتقانٍ ووعي، وفي ختام اليوم،
 دوّن في سطرٍ واحد ما تعلّمتَه من الجمع بين السعي والتسليم،
 واختم بدعاءٍ قصير: اللهم إن كان فيما سعيْتُ إليه خير فبارك
 لي فيه، وإن لم يكن فاصرفه عني واصرفني عنه وهذا التدريب
 اليومي يُهذّب معنى التوكل، وينقله من فكرةٍ مجرّدة إلى خُلُقٍ
 حيٍّ في القلب والعمل.

محبة الله طريقًا وعملاً

يتفاوت الناس في محبتهم لله تفاوتًا عظيمًا؛ يقوى أثرها في قلب المؤمن بقدر ما فيه من إيمان وتقوى واتباع، ويضعف أثرها بالغفلة والمعصية؛ وربما كانت المعصية، لا من حيث هي معصية، سببًا لانكسار العبد وندمه وتوبته ورجوعه إلى ربه؛ فيورث صدق الإنابة قلبًا أشد افتقارًا إلى الله، ويوقظ فيه من معاني المحبة والرجاء ما تعجز اللغة عن وصفه، وتضيق العبارات عن حمله؛ محبةً يثمرها الإيمان، وتصاحبها السكينة، وتدفع صاحبها إلى طلب رضا الله والعمل بما يحبه.

 **ولأنك الله** أدرك أن المحبة الصادقة ليست شعورًا عابرًا، ولا كلمةً تتردد على اللسان، بل معنى يظهر أثره في السلوك والطاعة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١؛ فمن دلائل صدق المحبة اتباع النبي ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه، والاجتهاد في الطاعة، والاستقامة بقدر الاستطاعة.

قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢؛ فالمحبة ليست كلمة تُقال، وإنما عبودية يظهر أثرها في العبادة، والنية، والمعاملة، وسائر شؤون الحياة؛

١ آل عمران: ٣١

٢ الأنعام: ١٦٢

ويكون صلاح العمل فيها شاهداً على ما استقر في القلب من إيمان.

🌱 ولأنك الله يجد العبد قلبه كأرضٍ تحتاج إلى غرسٍ وسقيا؛ إن تعاهدها بالطاعة نمت فيها معاني الإيمان، وإن أضاعها بالغفلة قست وضعفت؛ ورفع اليدين في الدعاء ليس استحقاقاً، بل إعلانٌ للفقر والحاجة، وكل صلاةٍ تذكيراً بالعبودية، وكل ذكرٍ يعين على مقاومة الغفلة، وكل إحسانٍ إلى الخلق أثرٌ من آثار الإيمان، وكل خطأ يتبعه ندمٌ وتوبةٌ صادقة يمكن أن يكون باباً إلى الإصلاح.

فالدموع وحدها ليست دليلاً قاطعاً على المحبة أو القبول، لكنها قد تكون من آثار الخشوع والندم، وعلامةً على قلبٍ يريد الرجوع إلى الله؛ وليس المقصود أن يتخذ العبد مشاعره ميزاناً يحكم به على منزلته عند ربه، وإنما أن يجعلها باعثاً على التوبة والعمل، وحسن الظن بالله، والخوف من التقصير.

🌱 ولأنك الله أعلم أن المحبة التي يصدقها العمل أرجى للعبد من دعوى لا أثر لها؛ فمن أحب الله اجتهد في طاعته، وأحب ما يحبه الله، وخاف تقصيره، ورجا رحمته إذا زلّت قدمه؛ قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^١؛ فالتقوى من ثمار الإيمان، وبها يجاهد العبد نفسه، ويحفظ قلبه من الغفلة، ويجتهد في إصلاح عمله، دون أن يزكيها أو يدعي لها مقاماً.

١ يونس: ٦٣

إن المحبة إذا صدقت خفت من وحشة الغفلة، ودفعت القلب إلى الطاعة، وجعلت الخير في حياة الإنسان أثراً من آثار إيمانه؛ فاجعل يا رب محبتك باعثاً على إصلاح قلبي، وزيادة إيماني، وحسن عملي، لا تركيةً لنفسي— ولا دعوى لكمالٍ لا أملكه.

 **ولأنك الله يا رب، اجعل قلبي متعلقاً بك، راجياً رحمتك، خائفاً من التقصير في حقك، واجعل حياتي مستجيبةً لأمرك، ساعيةً فيما تحب وترضى؛ وإذا تعثرت فأيقظني بالتوبة، وإذا غفلت فردني إلى ذكرك، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.**
❖ تطبيق عملي للتزكية:

- أن أجعل من كل صلاة وكل ذكر خطوةً نحو تصحيح نفسي. حتى وإن كان ذلك بالكثير من الأخطاء، فتظل الدموع صادقة في محبتي وعودتي إلى الله؛ كما أخصص وقتاً يومياً للتأمل والتفكير في محبتي لله، وأن أسعى لربط كل أعمالي بالله وحده، إيماناً بأن الطاعة هي السبيل الأوحى إلى تقوية علاقتي به.
- أن أحاسب نفسي— في ختام كل يوم: عملاً واحداً أخلصت فيه لك، وخطأً واحداً أستغفرك منه بصدق، مع عزم عملي على التصحيح في الغد؛ لتبقى المحبة حيةً بالفعل، لا بالكلام.

اللؤلؤة المكنونة

تختبئ في أعماق بحر القلوب لؤلؤة ثمينة، لا يلمح بريقها إلا قلبٌ تعلّم أن يفتقر إلى الله، ويجاهد نفسه، ويكثر من التوبة والطاعة والذكر؛ ليست كل نفسٍ تحسن الغوص، ولا كل قلبٍ يصبر على العمق؛ غير أن صدق المسير يعلم العبد أن المحبة ليست دعوى جميلة، بل عبودية تتجدد في الاختيار والعمل والرجوع إلى الله عند الضعف والغفلة والتقصير.

تلك اللؤلؤة يمكن أن تكون صورةً لمحبة الله في القلب؛ محبة يقوى أثرها بزيادة الإيمان والتقوى والاتباع، وتضعف آثارها بالغفلة والمعصية؛ وربما كانت المعصية سببًا لانكسار العبد وندمه وتوبته، لا من حيث هي معصية، وإنما بما قد تعقبه من إنابة صادقة ورجوع إلى الله؛ وحين تصدق التوبة، قد يجد القلب من الرجاء والسكينة ما تعجز اللغة عن وصفه، فيتحول الشعور إلى طاعة، والرجاء إلى عمل، والافتقار إلى عبودية.

وقد أشار النبي ﷺ إلى حلاوة الإيمان، فقال: ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار؛ متفق عليه؛ فهذه الحلاوة ليست مجرد إحساس عابر، بل ثمرة معاني إيمانية تظهر آثارها في المحبة والاتباع والثبات على الطاعة.

 ولأنك الله يعلم العبد أن محبته لربه لا تكتمل بدعوى القلب وحدها، بل يصدقها الاتباع، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾؛ فالمحبة الصادقة تدفع إلى ما يحبه الله، وتعين على ترك ما يسخطه، وتدعو القلب إلى الاستقامة دون أن تدفع صاحبها إلى تركية نفسه أو ادعاء مقام خاص. إن محبة الله إذا صدق أثرها خفت شيئًا من وحشة الغفلة، ودفعت القلب إلى الذكر والطاعة، وجعلت الخير في حياة الإنسان شاهدًا على أثر إيمانه؛ فاجعل يا رب محبتك سببًا لإصلاح خلقي، وحسن معاملتي، وصبري عند الشدة، وشكري عند النعمة، وإحساني إلى عبادك؛ واجعلها نورًا يهدي اختياراتي، لا نورًا أدعي بلوغه، وأثرًا أرجو أن يظهر في سلوكي، لا منزلةً أزعمها لنفسي.

والحياة قصيرة بمقاييس الإنسان، والقلوب تتقلب، والغفلة تتسلل من حيث لا يشعر المرء؛ لذلك يحتاج القلب إلى تعاهدٍ دائم؛ فليكن له كل يوم وقتٌ قصير يراجع فيه صلته بالله: دقائق بعد صلاةٍ يذكر فيها اسمًا من أسمائه الحسنى، ثم يتأمل معناه في حدود ما جاء به الكتاب والسنة، ويسأل نفسه: ما العمل الذي ينبغي أن يظهر أثر هذا الإيمان به اليوم؟ ثم يختار خلقًا واحدًا أو طاعةً واحدةً يجتهد في تحقيقها.

وهكذا لا تبقى المحبة صورةً جميلةً في الخيال، بل تتحول إلى أثرٍ حي في السلوك؛ فذكر الله يوقظ القلب، والطاعة تزكيه، والتوبة تجبر تقصيره، والإحسان يترجم إيمانه في علاقته

بالخلق؛ وكلما تعثر العبد لم يجعل تعثره نهاية الطريق، بل عاد لربه مستغفراً، مستعيناً، راجياً فضله، ومجدداً نيته.

🌱 تطبيق عملي للتزكية:

- خصص دقائق يومية للذكر والتأمل في اسم من أسماء الله، وأسأل: كيف يظهر أثره في سلوكي؟
 - إذا فترت أو غفلت، أعود إلى الصلاة والذكر والقرآن، ولا أجعل التعثر نهاية الطريق.
 - أعمل كل يوم على خلق واحد؛ كالصبر، والشكر، والرفق، والعفو والإحسان.
 - أختم يومك بسؤال: أين ظهرت آثار محبتي لله؟ وأين قصرت؟ ثم أستغفر وحدد ما ستصلحه غداً.
- الخلاصة:** اجعل المحبة اتباعاً، والرجاء عملاً، والندم توبةً، والذكر يقظةً، والطاعة تزكيةً، والتعثر رجوعاً إلى الله؛ حتى يظهر أثر علاقتي بالله في اختياراتي وأخلاقي ومعاملتي للناس.

ذكر الله النور الذي لا ينطفئ

في أعتم اللحظات، يبقى في قلب المؤمن من نور الإيمان ما يعينه على الثبات؛ نورٌ يذكّره بأن وراء العسر- ربًّا يُرجى فضله، وتُطلب هدايته، ويُستعان به؛ وتبقى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله؛ فإذا استقرت في القلب علمًا واعتقادًا وعملاً، أحيّت فيه معنى العبودية والافتقار إلى الله.

ويقوى أثر الإيمان بالخشوع والذكر والطاعة، ويضعف بالغفلة والمعصية؛ فإذا أظلمت النفس، لم يكن سبيلها ادعاء حال خاصة، وإنما الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار والصلاة والذكر والعمل الصالح.

 ولأنك الله سبحانه العلي وصفتَ نفسك في كتابك الكريم بما يليق بجلالك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١؛ فأنت الهادي، وبفضلك يخرج عبادة من ظلمات الجهل والكفر والغفلة إلى نور الإيمان والهدى؛ على وجهٍ يليق بجلالك، من غير تشبيه ولا حلول.

 ولأنك الله فإن ذكرك يوقظ القلب دائماً من غفلته، والصلاة ترده إلى مقام العبودية، والدعاء يعلمه الافتقار، والتوبة تفتح له باب الرجوع؛ وحين تشتد العواصف في النفس، قد يجد العبد في هذه العبادات سكينَةً تعينه على الصبر؛ لا

١ النور: ٣٥

لأنها تضمن زوال البلاء، بل لأنها ترد القلب إلى ربه، وتغرس فيه الرجاء، وتعينه على مواصلة الطريق. فكل صلاةٍ بخشوع، وكل آيةٍ بتدبر، وكل استغفارٍ بصدق، وكل دعاءٍ يرفعه العبد إلى الله، من أسباب زيادة الإيمان وإصلاح القلب؛ والذكر ليس كلماتٍ تتردد فحسب، بل عبادةٌ يظهر أثرها في السلوك؛ فيضبط العبد لسانه، ويحسن معاملته، ويراجع نفسه عند الخطأ.

ولأنك الله  إذا تأمل الإنسان آياتك في المطر والنجوم وإشراق الشمس، ازداد تعظيمًا لخالقهن وشكر أنعمه؛ فلا يجعل كل مشهدٍ علامةً خاصةً له، وإنما يعتبر بآياتك الكونية، فيقوده جمال المخلوق إلى تعظيم الخالق. وإذا كثرت ظلمات النفس، فذلك يدعو إلى تجديد العهد بالطاعة، ومجاهدة الغفلة، وصحبة القرآن والذكر والاستغفار؛ فالإيمان يزيد بالطاعة، ويضعف بالمعصية، والقلب يتقلب بين إقبالٍ وإدبار، محتاجًا إلى توفيق الله وتثبيته.

ولأنك الله  أنر قلبي بنور الإيمان والهداية، ولا تجعلني أسيرًا للغفلة إذا أظلمت نفسي، ولا للقنوط إذا أثقلتني أخطائي؛ ثبتت كلمة التوحيد في قلبي، واجعلها صادقةً على لساني، ظاهرةً في عملي؛ واجعل ذكرك حياةً لقلبي، وكتابك هدايةً لطريقي، والصلاة عونًا لي، والتوبة بابًا أعود منه إليك كلما زلت.

يا رب، لا تجعل ما أطلبه من النور مجرد شعورٍ عابر، بل إيمانًا يثبتني عند الفتن، وبصيرةً تعينني على الحق، وتقوى تحملني على الطاعة، ورجاءً يمنعني من القنوط، وإذا ضاقت بي

الدروب، فردّني إلى ذكرك، وعلّق قلبي بتوفيقك، وارزقني حسن الظن بك، والاستعانة بك، والاستغفار من تقصيري. واجعل أيامي فجرًا يتجدد بالطاعة بعد ليل الغفلة؛ كلما أظلمت نفسي- رددتني إلى ذكرك، وكلما أثقلتني الذنوب فتحت لي باب التوبة، وكلما اضطرب قلبي رددتني إلى اليقين بأنك رب العالمين؛ وثبتّني على التوحيد حتى ألقاك، وارزقني حسن الخاتمة، واجعل آخر كلامي: **شهادة التوحيد**، برحمتك وفضلك، يا أرحم الراحمين.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

عود نفسك على ورد قرآني ثابت بعد الفجر أو قبل النوم - ولو عشر- دقائق - تلتزم به يوميًا مع حضور القلب؛ واذكر الله في أحوالك الأخرى سائر يومك كأن تردد الذكر أثناء قيادة سيارتك أو ذهابك للمسجد أو للعمل؛ مثل: لا إله إلا الله، أو سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه فضبات القليل مع وعيه أصدق أثرًا من كثرة بلا حضور، وهو مفتاح إشعال هذا النور وحفظه في قلبك، ليكون دائمًا مرشدًا لك في كل درب.

الحب الذي لا يفنى

ليس كل حبٍّ في هذه الدنيا سواء؛ فمنه ما يضعف مع الزمن، ومنه ما يتبدل بتبدل الأحوال، ومنه ما يذبل حين تختبره الأيام؛ أما محبة الله، فهي من أعظم ما يتعلّق به قلب المؤمن، وتظهر آثارها في الرجاء عند الشدة، والشكر عند النعمة، والاستقامة في الطاعة، والافتقار إلى الله في كل حال. وتتفاوت محبة العبد لربه قوةً وضعفًا بحسب إيمانه وتقواه واتباعه؛ فتقوى بالطاعة والذكر والتوبة، ويضعف أثرها بالغفلة والمعصية؛ وليس الميزان شعورًا عابرًا يدّعي به الإنسان لنفسه مقامًا، وإنما ما تتركه المحبة في العمل والاختيار؛ فالقلب الذي يحب الله يسعى إلى ما يحبه الله، ويجاهد هواه إذا خالف أمره.

 **ولأنك الله** أدرك أن محبتك ليست كلمةً جميلةً تتردد على اللسان، بل معنى تعبدي يظهر في الاتباع والعمل والاستقامة؛ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^١؛ فالمحبة تعظم أمرك، وتدعو إلى طاعتك، وتردّ العبد إليك إذا زلت قدمه، وتدفعه إلى إصلاح سريره وعلا نيته.

وإذا كانت العواطف البشرية يعثرها الضعف والفتور، فإن المحبة التي يربهاها العبد بالإيمان والطاعة تعلّمه أن يقدم ما يحبه الله على ما تهواه نفسه، وأن يجمع بين الرجاء والخوف،

١ سورة البقرة: ١٦٥

وحسن الظن بالله والخشية من التقصير؛ فالمحبة ليست أن توافق رغبات العبد دائمًا، وإنما أن يتعلم أن يجعل رضا الله غاية.

ولأنك الله  اجعل محبتك في قلبي خُلُقًا راسخًا، لا دعوى عابرة؛ وعبادةً تصلح سلوكي، لا شعورًا أزعم به لنفسي- منزلة خاصة؛ علّمني أن أحب ما تحب، وأن أبتعد عما لا ترضى، وأن تكون اختياراتي شاهدةً على صدق قصدي؛ واجعل محبتك باعًا على الصلاة والذكر، والصدق والأمانة، والإحسان إلى الناس، والصبر عند الشدائد، والشكر عند النعم.

وقد يحب الإنسان ربه بلسانه، ثم تضعف نفسه أمام شهوة أو غضب أو هوى؛ ولذلك يحتاج القلب إلى مجاهدة مستمرة؛ فإذا وقع في التقصير، فلا يجعل خطأه سببًا للقنوط، ولا يجعل ندمه تزكيةً لنفسه، بل يعود إلى الله بالتوبة والاستغفار، ويصلح ما استطاع من عمله؛ وربما كانت الزلة سببًا لانكسار صادق أعقبه رجوع؛ لا لأن المعصية خير، ولكن لأن التوبة قد تعيد القلب إلى الافتقار والخضوع.

ولأنك الله  إن ضعف قلبي فلا تكلمي إلى نفسي-، وإن غلبتني الغفلة فردّني إلى ذكرك، وإن زلت فافتح لي باب التوبة؛ ولا تجعلني أغتر بما أشعر به من محبة، بل اجعلني أبحث عن أثرها في عبادتي وأخلاقي ومعاملتي؛ وإذا وجدت في نفسي فتورًا، فذكرني بأن القلوب تتقلب، وأنني محتاج إلى سؤال الثبات، وتجديد النية، والاستعانة بك في كل حين.

إن المحبة إذا صدقت دفعت القلب إلى الطاعة، وخففت شيئًا من وحشة الغفلة، وجعلت الخير في حياة الإنسان شاهدًا على أثر إيمانه؛ لكنها لا تعني عصمةً من الخطأ، ولا تضمن دوام حالٍ واحدة، ولا تجعل كل شعور دليلًا على القبول؛ وإنما هي معنى يحتاج إلى رعاية ومجاهدة، يزيد بالطاعة، ويتأثر بالغفلة، ويستعيد عافيته بالتوبة والرجوع.

🌱 تطبيق عملي للتزكية:

في كل لحظة تشعر فيها بالاضطراب أو تشتت الفكر، استرجع حبك لله وتعلقك به وخصص وقتًا للتأمل في الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥، وقل لنفسك: كيف يمكنني أن أزيد هذا الحب في قلبي اليوم؟ ثم قم بتطبيقه في فعل بسيط، كأن تبتعد عن شيء تشعر أنه يقوي حبك لأمر غير الله، أو أن تُقبل على فعل طاعة تقوي علاقتك به سبحانه ككفّ أذى، أو صدق نية، أو صلاة في وقتها وهذه المراجعة اليومية تُحوّل المحبة من شعور جميل إلى مسارٍ ثابت.

سؤال يهدأ عند باب الرحمة

أحياناً يسأل العبد نفسه في صمتٍ يثقل القلب، وهو يرى آثار نعم الله تحيط به، مع ما يعلم من تقصيره وغفلته: كيف تتتابع عليّ ألوان الفضل، وأنا أعرف من ضعفي ما أعرف؟ يراجع أيامه، فيرى خطواتٍ متعثرة، ومحاولاتٍ لا تليق بعظيم ما أنعم الله به عليه، فيقف متأملاً: ما أوسع فضلك، وما أعظم حلمك، وما أحوج القلب إلى أن يعرف ربه من خلال نعمه، وأن يقابلها بالشكر بدل الغفلة، وبالرجوع بدل الإعراض.

🌱 ولأنك الله لا يجد العبد تفسيراً لفضل يناله في نفسه ولا في عمله، فيعلم أن النعمة فضلٌ منك، وأن التوفيق للطاعة فضلٌ آخر، وأن ما يصيب العبد من سترٍ وإمهالٍ وفرصٍ متجددة للرجوع ليس استحقاقاً له؛ ومع ذلك، فإن سعة الرحمة لا تعني الأمن من الحساب، ولا تجعل التقصير أمراً هيناً؛ وإنما تفتح للعبد باب الأمل حتى لا يقوده الذنب إلى القنوط، وتدعوه إلى التوبة قبل أن يستفحل الغفلة.

ثم يتردد في القلب وعدك الكريم: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^١؛ فيفهم أن هذه الرحمة باب رجاء، لكنها ليست دعوة إلى التماادي؛ فهي رحمةٌ تُرجى مع الإيمان والتقوى، وتدفع القلب إلى العمل، وتعلمه أن الطريق إلى الله ليس طريق

١ الأعراف: ١٥٦

من يزعم الكمال، بل طريق من يعرف تقصيره، ويجاهد نفسه، ويعود كلما زل.

وقد جاء في الحديث القدسي: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة^١؛ فهذا الحديث يفتح باب الرجاء للتائبين، ويبين عظيم فضل الله على من أقبل عليه بالتوحيد والدعاء والاستغفار، دون أن يجعل الرجاء ذريعة للإقامة على الذنب.

 **ولأنك الله** أدرك أن الرحمة ليست أماناً كاذباً، بل دعوة إلى الرجوع؛ فإذا أذنب لم يقل: إن رحمة الله واسعة، ثم أصرّ، وإنما قال: إن ربي رحيم، فلأرجع إليه قبل أن يطول بي الطريق؛ وإذا أثقله الندم، لم يجعل ذنبه أكبر من رحمة الله، ولم يجعل رحمة الله أصغر من ذنبه؛ بل جمع بين الخوف والرجاء، وبين الاعتراف بالتقصير وحسن الظن برب العالمين.

 **ولأنك الله** لا يكون الفرار منك هروباً إلى مكان، وإنما فراراً إليك من المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن اليأس إلى الرجاء؛ قال سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ

١ صحيح الترمذي (٣٥٤٠) • صحيح • أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) واللفظ له، وأحمد

نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾؛ فما أجمل أن يعرف العبد وجهته حين تضيق به نفسه؛ فلا يفر من ربه، بل يفر إليه، مستغفرًا، خاشعًا، طالبًا العفو والهداية.

وقد يتذكر قوله تعالى: ﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾^٢؛ فيعلم أن النجاة ليست في الهروب من الله، وإنما في اللجوء إليه، وأن القلب مهما تاهت به رغباته، فإن أصدق طريقٍ لسلامته أن يعود إلى مولاه بالتوبة والعبادة والعمل الصالح.

 ولأنك الله إذا كادت الذنوب أن تثقلني باليأس، فذكرني بسعة رحمتك، لا لأستسلم للتقصير، بل لأستأنف الطريق؛ وإذا غلبتني الغفلة، فأيقظني بالذكر، وإذا زلت، فافتح لي باب التوبة، وإذا طال انتظاري للإصلاح، فلا تجعلني أوجل الرجوع بحجة أنني لم أبلغ الكمال.

يا رب، أمسك بقلبي إذا ضعفت، وأعني على نفسي. إذا غلبتني، وعلمني أن أرى نعمك باعثًا على الشكر، وسترك باعثًا على الحياء، ورحمتك باعثًا على الرجاء، ومغفرتك باعثًا على التوبة؛ لا تجعلني ممن يعرفون سعة رحمتك فيطمئنون إلى المعصية، ولا ممن يخافون ذنوبهم حتى يقنطوا من فضلك؛ بل اجعلي عبدًا يسير إليك بين الخوف والرجاء، ويجتهد في الطاعة، ويعترف بالتقصير، ويعود إليك كلما تعثر.

١ الذاريات: ٥٠

٢ التوبة: ١١٨

يا كريم الصفح، يا عظيم المن، يا حسن التجاوز، اجعل رحمتك في قلبي أملاً يدفعني إلى العمل، لا عذراً للتسوية، واجعل كل نعمة تصلي تذكيراً بفضلك، وكل تقصير أقع فيه باباً إلى الاستغفار، وكل عثرة سبباً لمراجعة النفس وإصلاحها؛ وثبتني على التوحيد، وارزقني صدق التوبة، وحسن الظن بك، والعمل بما يرضيك، حتى ألقاك وأنت راضٍ عني برحمتك وفضلك، يا أرحم الراحمين.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

كلما وقعنا في ذنب، يلزم ألا نؤخر ذكر الله والوقوع في الغفلة وهو القائل سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^١، ثم نفعل عملاً واحداً يعاكس الذنب مباشرة، ولو كان صغيراً؛ فبهذا يتحوّل الذنب من شعور داخلي بالندم إلى مسار عملي نحو التوبة والمغفرة، وقد قال النبي ﷺ: ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، فيحسن الطهور، ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له، قال الترمذي: حديث حسن، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^٢.

١ آل عمران: ١٣٥

٢ آل عمران: ١٣٥

تقييم واضح: هذا التوجه يفتح أمامنا بابًا عمليًا للتغيير والإصلاح، ليس فقط عبر التوبة، بل عبر التطبيق المستمر للرجاء والعمل الصادق.

في معية لا تغيب

حين تثقل الدنيا على المؤمن بأعبائها، وتنهال الخطوب عليه كأمواج عاتية، يجد نفسه محاصرًا ببحرٍ من الهموم؛ فيرفع قلبه بالدعاء إلى الله، ويهمس في صمْتٍ يعتصره الألم: **لأنك الله، فأنت حسبي ونعم الوكيل**؛ وحين يتذكر معيتك التي وعدت بها أهل التقوى والإحسان، يسكن شيءٌ من اضطرابه، ويستقيم في نفسه معنى التوكل؛ فيدرك أن العون لا يعني زوال كل ما يؤلمه، وإنما أن يرزقه الله من التوفيق والثبات ما يعينه على مواجهة ما نزل به، وحسن السعي فيما يستطيع.

 **ولأنك الله** يتردد في قلب المؤمنين وعدك الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^١؛ فيعلم المؤمنون أن معيتك لأهل التقوى والإحسان معيةٌ تليق بجلالك، تتضمن النصرَ والتوفيق والتأييد، وتبعث في القلب الرجاء، وتدفعهم إلى الصبر والإحسان، دون أن تعني أن الطريق سيخلو من العثرات، أو أن البلاء لن يمسَّ العبد؛ فحتى أهل الإيمان يُبتلون، لكنهم يجدون في الإيمان ما يعينهم على الثبات، وفي التوكل ما يحفظ قلوبهم من الانهيار.

 **ولأنك الله**

كم جاء الفرج بعد ضيق، وكم فتح الله للعبد بابًا حين ظن أن الأبواب قد أغلقت؛ وقد يسبق لطفك ما يدركه العبد من

١ سورة النحل: ١٢٨

أسباب وتدبير؛ فيطمئن إلى أن ما خفي عنه ليس خافيًا عليك، وأن علمك محيط بما لا يحيط به علمه، وأن حكمتك أوسع من نظره القاصر؛ لذلك لا يجعل تأخر الفرج سببًا لسوء الظن، ولا يجعل تعقّد الأسباب علامةً على انقطاع الرحمة؛ بل يمضي في سعيه، ويسأل الله التيسير، ويفوض إليه ما لا يملك.

ولأنك الله

إذا اشتدت التحديات، لا يطلب المؤمن حياةً بلا هموم، وإنما يسألك قلبًا يستعين بك حين تثقل عليه الهموم، وبصيرةً تهديه إلى ما ينبغي فعله، وصبرًا يعينه على احتمال ما نزل به؛ فيجعل من كل ضيقٍ فرصةً لمراجعة النفس، ومن كل ابتلاءٍ بابًا إلى مزيد من التوبة، ومن كل خوفٍ باعثًا على صدق التوكل، ومن كل نعمةٍ ميدانًا للشكر والعمل.

وحين تغلق بعض الأبواب من حوله، لا يقف عاجزًا ينتظر المجهول، بل يأخذ بالأسباب التي أقدره الله عليها، ويبذل وسعه دون أن يعتمد على الأسباب وحدها، ولا يغتر بقدرته المحدودة؛ يستشير إذا احتاج إلى المشورة، ويعمل إذا كان العمل ممكنًا، ويدعو حين تضيق الحيلة، ثم يكل ما وراء قدرته إلى الله؛ فهو يعلم أن الأخذ بالأسباب من هدي الشرع، وأن الاعتماد الحقيقي على الله وحده، وأن العبد مهما بلغ من قوةٍ يبقى محتاجًا إلى هداية ربه وتوفيقه.

ولأنك الله

قد يكون الصبر الذي يقدر عليه العبد من آثار توفيقك، والرجاء الذي يحفظه من القنوط من حسن الظن بك، والثبات

بعد الحيرة ثمرَةً من ثمار الاستعانة بك؛ وليس كل شعور يمر بالقلب دليلاً على منزلةٍ خاصة، ولا كل تيسير علامةً على الرضا؛ وإنما العبد يزن أحواله بالوحي، وينظر إلى أثرها في طاعته واستقامته، ويسأل الله القبول والثبات. وقد يتعلم المؤمن أن التوكل ليس ترغاً للعمل، كما أن العمل ليس اعتماداً على النفس؛ بل يسعى بما يستطيع، ويستعين بالله، ثم يرضى بما يجري به قدره بعد بذل الوسع؛ فإن أصابه ما يحب حمد الله، وإن نزل به ما يكره صبر واستعان، وإن أخطأ تاب وأصلح، وإن تأخر عنه ما يرجو لم يجعل التأخير سبباً لليأس.

 ولأنك الله

يذكر المؤمن فضلك إذا أقبلت عليه الدنيا، ويرجوك إذا أدبرت، ويحمدك على ما أعطيت، ويصبر على ما ابتليت به، ويسألك العافية واللف في كل حين؛ وألا تجعل الشدة قنوطاً، وألا تجعل الفرج غفلة، وألا تجعل النعمة استدراجاً، بل ترزقه قلباً يقظاً يرى في كل حال باباً من أبواب العبودية.

 تطبيق عملي للتركية:

عند القلق أو التشوّت، توضأ وصلّ ركعتين صلاة الاستخارة وسمّ حاجتك، واستعن بالله وفوّض إليه النتيجة ثم خذ بالأسباب واترك ما وراء قدرتك له، متيقناً أن معية الله لا تعني غياب العوائق، بل أن يعينك ويثبتك على تجاوزها وقل ما قاله المصطفى وهو يعلم صاحبه جابر بن عبد الله رضي الله عنه إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل:

اللهمَّ إني أستخيرُك بعلمِك، وأستَقْدِرُك بقدرتِك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنت علامُ الغيوب، اللهمَّ فإن كنت تعلمُ هذا الأمرَ - وتُسَمِّيهِ باسمِهِ - خيرًا لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري، فاقْدرْهُ لي، ويسِّرْهُ لي، ثم باركْ لي فيه، اللهمَّ وإن كنت تعلمُ شرًّا لي، في ديني ومعاشي، وعاقبةِ أمري، فاصرفني عنه، واصرفه عني، واقْدرْ لي الخيرَ حيث كان، ثم رَضِّني به^١.

● **عند الشدة:** ارفع حاجتك إلى الله بالدعاء، واستحضر- أنه حسبك ونعم الوكيل، واطلب منه الثبات والعون لا مجرد زوال البلاء.

● **الأخذ بالأسباب:** ابذل ما تستطيع، واستشر- واعمل وخطط، اعتمد واستعين بمسبب الأسباب وفوضه مطلقاً.

● **تربية التوكل:** إذا تأخر الفرج، فلا تستسلم لليأس أو سوء الظن بالله، استمر بالسعي، وأحسن الظن بحكمته وتقديره.

● **تحويل الابتلاء إلى عبودية:** الضيق بابًا للصبر، والخوف بابًا للاستعانة، والخطأ بابًا للتوبة، والنعمة بابًا للشكر.

● **محاسبة النفس:** اسأل نفسك عند كل أزمة: هل سعيت بما أستطيع؟ وهل تعلّق قلبي بالله أم بالأسباب؟ وما العبادة أو الخلق الذي ينبغي أن أصلحه؟

١ البخاري، صحيح البخاري (٧٣٩٠) • [صحيح] • أخرجه أبو داود (١٥٣٨)، والترمذي

(٤٨٠)، وابن حبان (٨٨٧) واللفظ لهم.

🌱 خلاصة التطبيق:

أن تجعل التوكل استعانةً لا توكلاً، والسعي أخذًا بالأسباب لا اعتمادًا عليها، والابتلاء صبرًا وتوبةً، والنعمة شكرًا، وتأخر الفرج حسنَ ظنٍّ بالله؛ حتى يبقى قلبك متعلقًا به في السراء والضراء.

الفجر همسات بين يدي الرحمن

في آخر الليل، حين تهدأ الأصوات وتخفت حركة الأشياء، يستيقظ القلب المحب لله على معنى يذكره بفقره إلى الله؛ ثم يبدأ الفجر في شقّ ظلمة الليل، فيستحضر المؤمن عظمة الخالق في تعاقب الليل والنهار، ودقة السنن التي أجراها في الكون؛ فيشعر أن هذا السكون فرصة لمراجعة النفس، وتجديد العهد بالطاعة.

 **ولأنك الله** تلهمه وتذكره: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾^١؛ فيستقبل الصباح بالذكر والصلاة، لا طلباً لشعور عابر، وإنما رغبةً في طاعتك وحسن عبادتك؛ وحين يخفّ عن القلب بعض أثقال الدنيا، يجد في الصلاة سكينَةً تعينه على استعادة توازنه، وفي المسجد موضعاً للذكر والخشوع، قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^٢. وفي الطريق إلى المسجد، حين تكون السماء ساكنةً والطرقات هادئةً، يستشعر المؤمن ما ورد عن النبي ﷺ: **بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ** بالنور التام يوم القيامة^٣؛ فيعلم أن

١ طه: ١٣٠

٢ النور: ٣٦

٣ المستدرك على الصحيحين (٨٦٣) • صحيح على شرط الشيخين وأخرجه أبو داود في سننه والترمذي في سننه، والبخاري في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى وابن ماجه في سننه .

الخطوات إلى الصلاة ليست حركةً بالجسد فحسب، بل مجاهدةً للنفس، وتقديمٌ للطاعة على سلطان الكسل والراحة.  ولأنك الله يكون الفجر فرصةً لتجديد النية قبل أن تتراحم مشاغل النهار ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^١؛ فيبدأ المؤمن يومه بعبادة ربه، مستعينًا به على ما سيأتي، مستغفرًا لتقصيره، راجيًا أن يكون يومه خيرًا من أمسه.

وقد يستيقظ الإنسان مثقلًا بخطئه أو مهمومًا بما ينتظره، لكنه لا يجعل ما مضى — حائلًا بينه وبين التوبة؛ فالفجر يذكره بأن عليه أن يرجع ويعمل، لا أن يستسلم لليأس؛ وقد لا تتغير الظروف في اللحظة نفسها، ولا تأتي الإجابة بالصورة التي تخيلها، لكن الدعاء يربي القلب على الافتقار، ويعلمه أن يبذل وسعه ثم يفوض ما لا يملك إلى الله.

 ولأنك الله فإن الاستيقاظ للطاعة توفيق يستوجب الشكر، لا علامةً يتزكى بها العبد على غيره؛ فإذا انتهى من صلاة الفجر، حمل أثرها إلى يومه؛ فصديق في قوله، وأدى أمانته، وضبط غضبه، وأحسن إلى أهله ومن حوله، واستحضر مراقبة الله في خلوته كما يستحضرها في علانيته.

 ولأنك الله اجعل الفجر في حياتي بابًا للتوبة وتجديد النية؛ ارزقني قلبًا يأنس بالطاعة دون غرور، ولسانًا يذكرك دون رياء، ونفسًا إذا قصرت لم تياس، وإذا وُفقت لم تعجب.

١ الإسراء: ٧٨

❖ تطبيق عملي للتزكية:

- بعد صلاة الفجر، عود نفسك على المكث والذكر ولا تستعجل النوم.
- اجعل لك وردا من القرآن والدعاء والأذكار الصباحية الثابتة عن النبي ﷺ لترتقي بها إلى حالٍ من الهدوء الداخلي والاتصال المستمر بالله، مما يجعلك مستعدًا لاستقبال اليوم برضا وثبات.
- اسأل نفسك: ما الخُلُق أو العمل الصغير الذي سأحمله من هذا الفجر إلى يومي؟ التزم به حتى المساء؛ فهكذا يمتد نور الفجر إلى السلوك.

أنت الغاية والمنتهى

قد تأتي للإنسان لحظة تأمل من توفيق الله، بعد أن تشغله الدنيا ويغفل عن غاية وجوده؛ وتمضي — به الأيام مسرعة — كوميضٍ خاطف، فيقف مع نفسه متسائلًا: إلى متى يستمر هذا السعي المحموم وراء الدنيا؟ وما معنى هذا الجري الذي لا يهدأ خلف ما يفنى؟ ولماذا يثقل التعب كاهله في طلب المعالي كلما ظن أنه اقترب؟

 **ولأنك الله** يتسلل إلى قلبه معنى الرحيل حين يتذكر من كانوا رفقاء له في هذه الحياة، ثم غادروها وتركوا وراءهم آمالهم وآلامهم وممتلكاتهم؛ عندها تهدأ ضوضاء التنافس قليلًا، ويدرك أن المناصب والأموال والجاه، مهما عظمت، ليست نهاية الطريق؛ فكل ما على الأرض زائل، وكل نفس ذائقة الموت، ويبقى ما عند الله؛ ويستقر في قلبه معنى قول الحق سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^١.

فيتأمل أن السبل، وإن تشعبت، تنتهي إلى المصير الذي كتبه الله لعباده، وأن الخطى مهما اختلفت، فإن مآل الإنسان إلى الوقوف بين يدي ربه، حيث يظهر أثر العمل، ويُجزى كل امرئ بما قدم؛ ومن أقبل على ربه تائبًا، مستعينًا به، راجيًا رحمته، وجد في شرع الله سبيلًا إلى إصلاح نفسه واستقامة طريقه.

١ سورة النجم: ٤٢

ولأنك الله يدرك أن العبرة ليست بكثرة الحركة وحدها، ولا بالمظهر الذي يراه الناس، وإنما بصدق النية وصواب الطريق؛ فيسأل ربه أن يثبتته على الهداية وأن يريه الحق حقًا ويرزقه اتباعه، وأن يريه الباطل باطلًا ويرزقه اجتنابه؛ فالهداية فضل، والثبات توفيق، والعمل الصالح ثمرة تحتاج إلى إخلاص ومتابعة.

ولأنك الله يفهم أن الدنيا دار ابتلاء، وأن الشهوات والفتن قد تتقلب أمام الإنسان حتى يختلط عليه الطريق؛ لذلك يعود إلى ربه كلما اضطرب قلبه، ويجاهد نفسه، ويستمد من الوحي نورًا يهدي خطاه، ومن الدعاء قوةً تعينه على مقاومة الغفلة؛ فلا يطلب يقينًا لا يتغير، وإنما يسأل الله قلبًا يتجدد إيمانه، ويثبت على الحق كلما عصفت به الشبهات والأهواء.

ولأنك الله يتعلم أن القرب منك ليس دعوى تُقال، بل عبودية تُثمرها الطاعة والتوبة والافتقار إليك؛ وحين يسأل قلبه: إلى أين؟ يجد الجواب في كتابك: ﴿إِنِّ إِلَيَّ الرُّجْعَى﴾^١؛ إلى الله مرجع الإنسان، وهناك تتبين حقيقة السعي، وتكشف قيمة ما قدمه في أيامه القليلة.

ولأنك الله نسألك أن تهدي خطانا، وتصلح قلوبنا، وتجعل محبتنا باعثةً على طاعتك، وأن تثبتنا على الحق دون قسوة، وعلى الرجاء دون غرور؛ اللهم اجعل حياتنا سبيلًا إلى رضاك بطاعتك، لا سباقًا وراء المظاهر، وارزقنا حسن الظن

بك مع الخوف منك، والتوبة كلما زلنا، والسكينة في طول الطريق؛ وألهمنا ألا نقنط من رحمتك، فقد قلت سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^١؛ فنسألك يا أرحم الراحمين أن تجعل لنا من هداك نورًا، ومن توفيقك عونًا، ومن رحمتك نصيبًا، وأن تعيننا على حسن السير إليك، حتى نلقات وأنت راضٍ عنا.

✽ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 كلما شعرت بالضيق أو التشتت في مسيرك، توقف للحظة وتذكر: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾^٢.

🌱 اجعل هذا التوجه هو دليلك في اتخاذ القرارات اليومية، سواء كانت كبيرة أو صغيرة.

🌱 بينما تسعى استحضرنية قربك من الله، واحتفظ باليقين أن كل خطوة مهما كانت بعيدة عن الكمال، هي في طريقك إلى الله.

🌱 اختر عملًا واحدًا صغيرًا تُصحح به الاتجاه في الغد نية، أو عبادة، أو خلق، واجعله علامة على أن سعيك يسير نحو المنتهى الحق في نهاية كل يوم؛

١ الأعراف: ١٥٦

٢ سورة العلق: ٨

إلى الله... حيث تسكن الطمأنينة

في لحظات الغفلة، حين تثقل القلب هموم الدنيا، ويبتعد المسلم عن طاعة الله وذكره، قد تنبعث في أعماق نفسه خاطرةٌ توقظه من غفلته؛ لا تعلق بالصخب، ولا تثقل عليه بالعتاب، بل تهمس برفق: إلى متى هذا الإعراض؟ ألا يستحق الله أن يُقبل عليه بالطاعة والذكر؟

إنها تذكرةٌ توافق ما فطر الله الناس عليه؛ فالله سبحانه خلقهم على الفطرة، وقد تعترضها الشهوات والغفلة والمؤثرات، فتحجب بعض آثارها، لكنها تظل باعثةً على طلب الحق إذا استجاب العبد لها وردّها إلى نور الوحي؛ وكلما أهملت النفس نداءً التوبة، ازدادت قسوةً، وكلما رجعت إلى الله وأصغت إلى الحق، انفتح لها من الهداية ما يعينها على الاستقامة.

 **ولأنك الله** يتذكر أن السكينة ليست في كثرة ما يملكه الإنسان من متاع الدنيا، وإنما في طمأنينة القلب بطاعتك، وأن راحة الروح لا تكتمل إلا حين يتوجه العبد إليك، ويبتغي رضاك، ويستعين بك على إصلاح نفسه.

 **ولأنك الله** حين تنعم عليه فتلامس مسامحه آيات من الذكر الحكيم وإلى ما يوقظه من الغفلة، فيتردد في روحه قبل سماعه قولك الله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ذَلِكِ الدِّينُ

الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فيعلم أن الاستقامة ليست تشددًا، بل ثباتٌ على الحق الذي شرعه الله، وأن العبودية ليست هروبًا من الحياة، وإنما أن يعيشها الإنسان على بصيرة، فلا تستعبده شهواتها، ولا تصرفه زخارفها عن غايته.

 **ولأنك الله** يدرك كم مرة غلبته الغفلة، وكم مرة أثرت الدنيا في اختياراته، فيستحي من تقصيره، ويعود إليك تائبًا، لا مدعيًا السلامة، بل راجيًا عفوك، مستعينًا بك على إصلاح قلبه؛ ويعلم أن الندم الصادق ليس نهاية الطريق، بل قد يكون بدايته، وأن التوبة تفتح للعبد باب الرجوع والاستقامة.

 **ولأنك الله** نسألك أن توقظ قلوبنا إذا غفلنا، وأن تردنا إليك ردًا جميلًا، وأن تجعل توبتنا صادقة، وقلوبنا حيةً بذكرك، وخطانا ثابتةً على طاعتك.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

- خصّص في يومك لحظة تفكر، واسأل قلبك بصدق: ما الشيء الذي أبعدني اليوم عن الله؟
- ثم اختر فعلًا واحدًا بسيطًا يعيدك إلى فطرتك: ذكرٌ حاضر، أو صلاة بخشوع، أو ترك ما يُقسّي القلب وبهذه الخطوة الصغيرة، يبقى نداء الفطرة حيًا ومسموعًا.

عندما يتكلم القلب بلغة الدموع

حين يعجز اللسان عن التعبير، وتضيق الكلمات عن حمل ما يثقل القلب، قد تأتي الدموع لتكشف شيئاً مما تعجز عنه العبارة؛ فتنسب مع الخوف والرجاء، ومع الندم والشوق، ومع حزنٍ يحتاج إلى مناجاة الله؛ وليست كل دموع دليلًا على مقام خاص، لكنها قد تكون ثمرةً لخشوعٍ صادق، أو ندمٍ يوقظ القلب، أو افتقارٍ يدفع العبد إلى ربه.

 ولأنك الله

تعلم خفايا القلوب، وتعلم سر كل دموع قبل أن تنساب؛ أهي دموع شكر على نعمة، أم خوف من عظيم سلطانك، أم ندم على تقصير، أم حزنٌ يحتاج صاحبه إلى الصبر والاحتساب؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾^١؛ فالبكاء قد يكون أثرًا من آثار الإيمان والخشوع، إذا صدق معه القلب واستقام العمل.

 ولأنك الله

علمتنا أن التوبة ليست كلمات تُقال ولا دموعًا تنساب فحسب، وإنما رجوعٌ صادق، وندمٌ على الذنب، وإقلاعٌ عنه، وعزمٌ على ألا يعود إليه؛ فإذا بكى العبد من تقصيره، فليجعل

بكاءه باعثًا على الإصلاح، لا غايةً يكتفي بها، وليحسن الظن
برحمة الله دون أن يزكي نفسه أو يجزم بقبول عمله.

 ولأنك الله

لا نحتاج إلى أن نحول مشاعرنا إلى يقينٍ بما غاب عنا؛ يكفيننا
أن نرفع حاجتنا إليك، ونشكو إليك ضعفنا وحزننا، ونرجو
فضلك؛ ونستشعر مناجاة يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو
بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^١؛ فكان حزنه
إنسانيًا، ولم يمنعه من حسن الظن بالله والصبر على البلاء.

 ولأنك الله نسألك أن تجعل دموعنا إذا نزلت من
خشيتك ورجائك سببًا لمراجعة أنفسنا، وأن تجعل حزننا بابًا
إلى الفرج، وضعفنا باعثًا على الافتقار إليك.
❖ تطبيق عملي للتزكية:

إذا اشتد علينا البلاء، أصابنا الفقد، غلبنا الحزن، فلا نحترق
دموعنا ولا نستسلم لها؛ بل نضعها في موضعها الصحيح: صبرًا
واحتمسًا ودعاءً ومناجاةً؛ ولنجعل من لحظات البكاء فرصةً
لمراجعة القلب، والرجوع إلى الله، والإكثار من الاستغفار، مع
اليقين بأن الفرج بيده، وأن الرحمة أوسع من الألم.
ولنجعل دموع الخشية والتوبة معيّنًا على الطاعة، لا بديلًا
عنها؛ فإن أجمل الدموع ما أعقبها إصلاح، وأصدق الانكسار ما
قاد إلى عبودية، وأرجى الحزن ما حمل صاحبه على حسن
الظن بالله والصبر حتى يأتي فرجه.

١ يوسف: ٨٦

رحمة الله في المحن: طريق الصبر والرضا

حين يطوف السؤال بقلب المسلم، ويختلط حزن الفقد بضيق الظرف، قد تهمس النفس: لماذا يا رب هذا البلاء؟ لماذا تأتي الصعاب بعد السعة، والمرض بعد الصحة، والفقر بعد الغنى؟ ثم يتذكر أن الابتلاء سنة ماضية، وأن المؤمن لا يُعفى من الاختبار، وإنما يُبتلى ليتبين صدقه، ويظهر صبره، ويعود إلى ربه.

 **ولأنك الله** يتعلم العبد أن البلاء ليس له معنى واحد؛ فقد يكون تكفيرًا للذنوب، أو رفعةً للدرجات، أو اختبارًا للصبر، وقد يكون تذكيرًا للإنسان بتقصيره؛ فلا يجزم بحكمة غيبية لم يخبره الله بها، لكنه يحسن الظن بربه، ويأخذ بأسباب الإصلاح، ويوقن أن ما قدره الله لا يخلو من حكمة والله تعالى يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۚ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^١؛ فالصبر عند المصيبة عبادة، وليس معناه إنكار الألم أو منع الدموع؛ بل أن يحفظ المسلم لسانه من التسخط، وقلبه من الاعتراض، وجوارحه من المحرمات.

 **ولأنك الله** يعلم المسلم أن شدة البلاء ليست مقياسًا وحيدًا لمكانة العبد، فقد كان الأنبياء أشد الناس بلاءً؛ قال النبي

١ سورة البقرة: ١٥٥

ﷺ: أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلابةً اشتد بلاءؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه^١.

وقد قال ﷺ: ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة^٢؛ فالمصيبة قد تكون باباً لتكفير السيئات، إذا صبر العبد واحتسب، من غير أن يقطع لنفسه بحكم الغيب.

🌱 ولأنك الله يتذكر المؤمن أن طريق الحق قد يحمل أذى، كما وقع للأنبياء وأتباعهم؛ ولما نزل الوحي على النبي ﷺ، قال له ورقة بن نوفل: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي؛ رواه البخاري؛ فالأذى لا يعني خذلاً، كما أن العافية لا تعني بالضرورة رضا؛ وإنما العبرة بالثبات على الحق وحسن القيام بما أوجب الله.

وفي أوقات الشدة، لا يحتاج القلب إلى تفسير كل شيء بقدر حاجته إلى الصبر والاستعانة والدعاء، وقد قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^٣؛ فإذا حزبه أمر، لجأ

١ تخريج سير أعلام النبلاء (١٦٠/٩) • صحيح • أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١٦٠٧) جميعاً بلفظه .

٢ سنن الترمذي (٢٣٩٩) • حسن صحيح • أخرجه الترمذي (٢٣٩٩) واللفظ له، وأحمد (٧٨٥٩) .

٣ سورة البقرة: ٤٥

المؤمن إلى الصلاة، وأحسن الظن بربه، وسأل الله العون والثبات.

🌱 **ولأنك الله** نسألك أن تلهمنا أن نصبر إذا نزل البلاء، وأن نرجو رحمتك من غير اغترار، وأن نستغفرك إذا كان في المصيبة تذكير بتقصير؛ اللهم ارزقنا قلبًا لا يعترض على حكمك، ولسانًا لا يتسخط، وعملاً صالحًا يقربنا إليك، وبصيرةً تعيننا على فهم ما نستطيع فهمه، والتسليم بالرضى فيما غابة عنا حكمته.

🌱 **ولأنك الله** اجعلنا ممن إذا أصابتهم مصيبة قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^١، وممن يستعينون بك ولا يستسلمون لليأس؛ واجعل البلاء سببًا لمراجعة النفس، وتقوية الصلة بك، وإصلاح ما نستطيع إصلاحه.

ومن أجمل القصص التي تُبين معنى البلاء والصبر قصة أيوب عليه السلام؛ فقد ابتلاه الله تعالى في جسده وماله وأهله، وطال به البلاء، ومع ذلك لم يفقد حسن ظنه بربه، ولم يحمل قلبه اعتراضًا على قدر الله. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾^٢ ونتعلم من قصة أيوب عليه السلام أن البلاء مهما طال فله نهاية، وأن تأخر الفرج لا يعني غياب رحمة الله؛ فلم يكن أيوب يعلم متى ينتهي بلاؤه، لكنه بقي متعلقًا بربه، حتى

١ سورة البقرة: ١٥٦

٢ سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤

جاء الفرج من حيث لا يحتسب. وهكذا قد يمر المسلم بمرض أو فقد أو ضيق، ولا يرى في الأفق مخرجًا، ثم يجعل الله بعد العسر يسرًا، ويبدل حاله من الضعف إلى القوة، ومن الحزن إلى السكينة.

 ومن قصص البلاء قصة الشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله؛ فقد ابتلي منذ شبابه بالشلل، وأصبح مقعدًا لا يستطيع الحركة إلا على كرسيه، ومع ذلك لم يمنعه المرض والعجز الجسدي من مواصلة الدعوة والتعليم والعمل لخدمة دينه وقضيته؛ لقد عاش سنوات طويلة مع المرض والألم، لكنه كان مثالًا في الصبر والثبات، حتى أصبح عجز الجسد سببًا في قوة الهمة، وأثبت أن البلاء قد يقيّد حركة الإنسان، لكنه لا يستطيع أن يقيّد قلبًا تعلق بالله. وظلّ ثابتًا على جهاده ومواقفه حتى اغتالته قوات الاحتلال الصهيوني عقب أدائه صلاة الفجر، فاستشهد رحمه الله عام ٢٠٠٤م.

 البلاء لا يمنع الإنسان من أن يكون نافعًا ومؤثرًا؛ فقد ابتلي بعجز الجسد، لكنه لم يسمح لهذا البلاء أن يعجز همته أو يقطع صلته برسالته. ونتعلم منها أن قوة الإنسان ليست في جسده وحده، وإنما في إيمانه وثباته وعزيمته، وأن ما يفقده المرء من بعض أسباب القوة قد يعوضه الله بقوة في القلب والهمة والأثر. فليس البلاء نهاية الطريق، بل قد يكون بابًا يُظهر فيه العبد صدقه وصبره وثباته.

❖ تطبيق عملي للتركية:

عند نزول البلاء، يتوقف المسلم عن سؤال: لماذا أنا؟ إذا كان السؤال يورث السخط، ويستبدله بسؤال أنفع: كيف أتعامل مع هذا بما يرضي الله؟؛ فيصبر، ويصلي، ويدعو، ويأخذ بالأسباب، ويستفيد من المحنة في إصلاح نفسه؛ فإذا طال البلاء، لم يجعل طول الطريق دليلاً على الهجر، ولم يجعل الألم دليلاً على الغضب؛ بل يبقى بين الخوف والرجاء، مستعيناً بالله، راجياً أجر الصابرين، وموقناً بأن العاقبة للمتقين

سجود القلب قبل الجسد

حين يسجد المؤمن بين يدي خالقه، يضع أشرف مواضع جسده على الأرض خضوعًا لله، وينحني قلبه قبل جسده تعظيمًا وإجلالًا؛ فيستحضر— أن هذا الكون كله عبد لله، وأن السماوات والأرض وما فيهما يسبحون بحمده على الوجه الذي يليق بهم، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^١.

🌱 ولأنك الله المستحق للعبادة وحدك، يتعلم المؤمن أن السجود ليس حركة تؤدي بالجسد فحسب، بل عبادة يجتمع فيها الخضوع الظاهر مع خشوع القلب؛ وكلما وضع جبهته على الأرض، تذكر عظمة من يسجد له، واستشعر افتقاره إليه، فهدأت نفسه، وانكسرت حدة الكبر، وتجدد في قلبه معنى العبودية.

🌱 ولأنك الله لا يحتاج العبد في سجوده إلى واسطة بينه وبينك؛ بل يدعوك وحدك، ويطلب عونك ورحمتك ومغفرتك؛ وقد قال النبي ﷺ: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء؛ رواه مسلم؛ فالسجود موضع عظيم للدعاء والافتقار، وميدان لاستحضار رحمة الله

١ الإسراء: ٤٤

وعظمته، دون أن يجعل العبد مشاعره ميزانًا لحكمٍ غيبي لا يعلمه إلا الله.

🌱 **ولأنك الله** كان سجود نبينا محمد ﷺ يوم القيامة مشهدًا عظيمًا من مشاهد الشفاعة؛ ففي الحديث الصحيح أنه يسجد بين يدي ربه، فيقال له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعطه، واشفع تُشفّع؛ رواه مسلم؛ وفي ذلك تذكير بأن الشفاعة كلها بإذن الله، وأن النبي ﷺ عبدٌ رسول، لا يملك من الأمر شيئًا إلا ما أذن الله له فيه.

🌱 **ولأنك الله** اجعل سجودنا موطن صدق لا مجرد هيئة، وأعنا على أن تخرّ جباهنا لك خاشعة، وقلوبنا لك منيبة؛ اللهم ارزقنا خشوعًا يثمر طاعة، وافتقارًا يثمر توكلاً، ودعاءً يملؤه حسن الظن بك؛ واجعل كل سجدة فرصة لمراجعة النفس، وتجديد التوبة، وشكر نعمة الهداية.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

حين يسجد المؤمن، فليتأنّ لحظات قبل أن يرفع رأسه، وليتذكر أنه في عبادة عظيمة، وليكثر من الدعاء بما ينفعه في دينه ودنياه؛ وليتذكر أن هذه السجدة قد تكون من أعظم لحظات عمره؛ فيستثمرها في الاستغفار، وطلب الهداية، وسؤال الثبات وحسن الخاتمة.

اجعل السجود موضعًا للدعاء، ولا تتعجل رفع رأسك إذا وجدت قلبك حاضراً، مع المحافظة على السنة وعدم التكلف؛ اختر دعاء تحتاجه، وكرره بصدق، ثم سل الله العون على العمل به؛ وتذكر أن السجود لا يقاس بطوله وحده، بل بما

يثمره من خشوع واستقامة، وأن العبادة الصحيحة تجمع بين حضور القلب واتباع الهدي.

وعندما يتأمل المؤمن آخر سجدة له في الدنيا، لا يعلم متى تكون، فلا يجعل هذا خاطر بابًا للخوف المفرط، بل باعًا على اغتنام العبادة؛ قد تكون السجدة لحظة عابرة في الحساب البشري، لكنها فرصة لتجديد العهد بالتوبة والدعاء؛ فيطيلها بقدر ما تسمح به السنة والخشوع، ويسأل الله خير الدنيا والآخرة، ويخرج منها بقلب أصدق وأهدأ.

النور الذي لا ينطفئ

في عتمة الليل، حين تضيق السبل وتتوالى الابتلاءات، يجد المسلم نفسه مثقلًا بالهموم، يبحث عن ملجأ يخفف عنه ثقل الطريق؛ وفي تلك اللحظات، قد يعود إلى قلبه، لا لبحث فيه عن شيء غيبي مستقل، وإنما ليتفقد إيمانه، ويستعيد صلته بربه، ويطلب منه الهداية والثبات.

نور هادئ لا يضيحّ

حين تشتد قسوة الحياة، قد يجد المؤمن في قلبه أثرًا من آثار الإيمان؛ سكينه تعينه، وبصيرة تمنعه من التيه، ورجاء يفتح أمامه طريقًا بعد أن ظن أن الأبواب قد أغلقت؛ وليس ذلك النور شيئًا من ذات الله يحل في القلب، وإنما هو نور الهداية والإيمان الذي يمنّ الله به على عباده.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١؛ فالله سبحانه هو رب النور وهادي الخلق، ومنه الهداية والتوفيق، ويزداد العبد بصيرة كلما صدق في طلب الحق، وأقبل على الطاعة، واستعان بربه.

القلب ومشكاة الإيمان حين يتخلص القلب من بعض غفلته، ويصدق في التوجه إلى الله، تظهر آثار الإيمان في السلوك؛ فيهدأ عند الفتن، ويثبت عند الشدائد، ويزن الأمور بميزان الشرع؛ وكما أن المشكاة تجمع ضوء المصباح وتظهره، فإن القلب الصالح

١ النور: ٣٥

تظهر فيه آثار الهداية دون أن يكون مصدرها مستقلاً عن فضل الله.

وكلما جاهد العبد هواه، وراجع نفسه، وأقبل على ربه بالطاعة، كان أرجى لنيل فضله وتوفيقه؛ وفي الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي..؛ وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا رواه البخاري؛ فالمعنى يفتح باب الرجاء والعمل، لا باب الاغترار أو دعوى المنزلة.

النور هداية ورحمة نور الإيمان ليس شهادة بكمال صاحبه، ولا دليلاً قاطعاً على رضا الله عنه؛ فقد يضعف المؤمن ويغفل ثم يعود؛ لكنه نعمة عظيمة إذا أثمرت طاعةً واستقامةً ورجوعاً إلى الله؛ فإذا شعر العبد بضعف النور في قلبه، لم ييأس، بل لجأ إلى ربه، واستغفره، وجدد إيمانه، وسأله الثبات.

ولأنك الله  أسألك أن تهديني بنور كتابك، وأن تنير بصيرتي بالإيمان، وأن تجعل قلبي ثابتاً على الحق؛ اللهم إذا أحاطت بي الفتن، فلا تكلني إلى نفسي، وإذا اشتدت الحيرة، فاهدني إلى ما تحب وترضى، وإذا أثقلتني الهموم، فارزقني سكينة تعينني على الصبر والعمل.

ولأنك الله  لا تجعل رجائي قائماً على مجرد شعور عابر، بل اجعل أثر الإيمان ظاهراً في صلاتي، وكلامي، واختياري، ومعاملتي للناس؛ وارزقني أن أستمد قوتي من طاعتك، وأن أرى نعمك في العافية، وحكمتك في الابتلاء، وأن أعود إليك كلما شغلني الدنيا. وغاية النور ليست راحة الدنيا وحدها، بل الفوز يوم القيامة، حين يكرم الله المؤمنين بنور يسعى بين أيديهم، وفي هذا يقول

الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^١؛ فالهداية في الدنيا زاد، والإيمان والعمل الصالح طريق إلى ذلك الكرامة.

✽ تطبيق عملي للتزكية:

ليجعل المسلم لنفسه كل يوم وقتًا يقرأ فيه القرآن بتدبر، ويستغفر الله بوعي، ويدعوه أن يزيده هداية وثباتًا؛ وإذا ازدحمت الهموم، فليجعل سجوده موضع افتقار ودعاء، لا مجرد بحث عن شعور نفسي معين؛ وليتذكر أن النور الحقيقي يظهر حين يتحول الإيمان إلى عمل، والرجاء إلى طاعة، والتوبة إلى إصلاح.

وإذا شعر القلب بالعتمة، فلا يئأس؛ فليعد إلى القرآن، والصلاة، والاستغفار، والدعاء، وليطلب من الله أن يحيي قلبه بالإيمان، ويهديه سواء السبيل؛ فليس المطلوب أن يعيش الإنسان دائمًا في إحساس روحي مرتفع، وإنما أن يظل راجعًا إلى الله، ثابتًا على الطاعة، مستمدًا الهداية منه، حتى تكون أنوار الإيمان أثرًا ظاهرًا في حياته.

حين يهدأ الكون وتبقى المناجاة

في جوف الليل، حين تخفت الأصوات وتستكين الحركات، يجد المؤمن نفسه قائماً بين يدي ربه، في وقفة يملؤها الافتقار، لا ادعاء فيها ولا تكلف يناجيه من ضعفٍ لا من استحقاق، ويشكو إليه لأنه القوي الرحيم، لا لأنه يملك حجة أو وسيلة هناك يهدأ ضجيج الدنيا، ويصبح السكون معيناً للقلب على الصدق، فيراجع العبد نفسه، ويستحضر فقره إلى الله، ويترك خلفه شيئاً من أثقال النهار.

خلوة تعيد للقلب اتجاهه

حين يخف ضجيج الحياة، يجد المؤمن في قيام الليل فرصة لمراجعة قلبه، لا لأن الليل يقربه إلى الله بذاته، وإنما لما فيه من سكون يعين على الإخلاص وحضور القلب؛ فيقرأ القرآن، ويذكر ربه، ويستغفره، ويدعوه بما يحتاج إليه، فيتحول الليل من ساعات تمر إلى عبادة تربي النفس، وتعيد ترتيب الهموم، وتذكر الإنسان بأن وراء مشاغل الدنيا غاية أعظم.

وحين يتأمل قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^١، يعلم أن المقام المحمود من خصائص النبي ﷺ، وأن في الآية دلالة على عظم شأن تهجده، بينما يبقى قيام الليل للمؤمنين باباً من أبواب الطاعة والتزكية، لا سبيلاً إلى ادعاء منزلة خاصة.

١ الإسراء: ٧٩

في ظلمة الليل، حين يشعر المؤمن أن همومه أكبر من طاقته، يلجأ إلى السجود؛ فقد تكون سجدة صادقة بدايةً لاستعادة سكينته وتوازنه يبت فيها ربه شكواه، ويسأله العون، ويستغفره، ثم ينهض إلى يومه بقلبٍ أكثر صبرًا واستقامة؛ وليس المقصود أن يعيش دائمًا إحساسًا روحانيًا مرتفعًا؛ فالقلب يتقلب، وإنما أن يظل باب الرجوع إلى الله مفتوحًا، كلما أثقلته الحياة أو شغلته الدنيا.

ومن قصص الصالحين قصة الفضيل بن عياض رحمه الله؛ فقد كان شديد العناية بخلوته بربه، حريصًا على أن تكون عبادته بعيدة عن أعين الناس، حتى يبقى العمل لله وحده؛ وكان الليل بالنسبة إليه فرصةً يهدأ فيها ضجيج الدنيا، ويقبل فيها القلب على ربه بالصلاة والدعاء والاستغفار، وهكذا نتعلم من سيرته أن الخلوة بالله ليست انقطاعًا عن الحياة، بل استراحةً للقلب من شواغلها، ومجالًا لمراجعة النفس وتجديد الإخلاص، ثم العودة إلى الناس بقلبٍ أهدأ وعزيمةٍ أقوى.

ولأنك الله يعلم المحب أن أجمل ما في خلوة الليل أنها تعلمه الصدق مع نفسه؛ فيعترف بتقصيره، ويستغفر من ذنبه، ويسألك الهداية والثبات، ويضع بين يديك حاجاته وآلامه، راجيًا فضلك، من غير أن يجعل دموعه أو خشوعه دليلًا قاطعًا على القبول.

وقد قال النبي ﷺ: أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل^١؛ فقيام الليل ليس مجرد لحظة وجدانية عابرة، بل عبادة عظيمة، إذا أحسن العبد فيها النية، وأخلص لله، ووافق هدي النبي ﷺ.

 ولأنك الله اجعل لنا من الليل نصيبًا يربينا ولا يرهقنا، ومن الذكر حياة لا مجرد ترديد، ومن الدعاء صدقًا لا كثرة ألفاظ؛

تطبيق عملي للتزكية:

ليخصص المسلم من ليله ما يستطيع، ولو ركعتين خفيفتين، يقرأ فيهما ما تيسر، ثم يطيل الدعاء بقدر ما يحتمل قلبه ووقته، من غير تكلف ولا اعتقاد أن طول القيام وحده معيار القبول؛ وليختم ليله بالوتر إن كان ممن يعتاد القيام، فقد قال النبي ﷺ: اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا^٢؛ ثم ليخرج من خلوته إلى نهاره حاملاً أثرها في صدقه وصبره وأخلاقه؛ فثمرة قيام الليل لا تظهر في لحظة السكون وحدها، بل حين يصبح القلب أصدق، والعمل أصلح، والإنسان أرحم بالخلق، وأشد استعانةً بالله في شؤون حياته.

➤ اختر ركعتين ثابتتين في وقت محدد، مع دعاء واحد تكررّه بوعي كل ليلة؛ فالثبات يحوّل المناجاة من لحظة وجد عابرة إلى أثر دائم في القلب والسلوك.

١ صحيح ابن خزيمة (٤٨٩/٣) ومسلم (١١٦٣)، وأحمد (٨٠٢٦)

٢ رواه البخاري ومسلم

➤ اسأل الله أن يُنير قلبك باليقين، ويطهّر روحك من
الشوائب، ويجعلك دائماً متيقناً بقربه، بعيداً عن التعلق
بالكلمات، بل بقلبٍ صادق يخلص في التوجه إليه.

في روضة الشكر

كلما تأمل المؤمن نعم الله عليه، ازداد عجبًا من سعة فضل الله وإحسانه، وشعر بعجزه عن الإحاطة بما أنعم به عليه؛ فكيف يشكر نعمة الحياة، وهو قد يبدد بعض لحظاتها في الغفلة؟ وكيف يحمد نعمة الصحة، إذا لم يستثمر قوته فيما ينفعه ويقربه إلى الله ويرضيه؟ وكيف يؤدي حق نعمة الأمن والعافية والستر، وهو يعلم أن كثيرًا من هذه النعم يعيشها الإنسان كل يوم حتى يألفها، فيغفل عن استحضار فضل الله فيها؟

وحين تتردد هذه المعاني في قلب المؤمن، فإنها لا ينبغي أن تقوده إلى القنوط، بل إلى اليقظة والتوبة والاستغفار؛ إذ يرى تقصيره من جهة، ويرى سعة فضل الله ورحمته من جهة أخرى، فيجتمع في قلبه الخوف والرجاء؛ يخاف تقصيره وغفلته، ويرجو عفو ربه ورحمته، ويستحضر قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^١؛ فنعمة الله ليست محصورة في المال والصحة وسعة العيش، بل تشمل نعمة الإيمان والهداية، ونعمة العقل، ونعمة السمع والبصر، ونعمة الأمن، ونعمة الأهل، ونعمة الوقت، ونعمة القدرة على الطاعة؛ بل إن أعظم النعم أن يوفق الله عبده للإيمان به، ومعرفته، وعبادته، والثبات على طريقه؛ قال

١ إبراهيم: ٣٤

تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^١؛ ومن هنا يفهم المؤمن أن الشكر ليس مجرد كلمات يرددّها اللسان، وإن كان حمد الله والثناء عليه من أجلّ أعمال القلوب والألسنة، وإنما الشكر أوسع من ذلك؛ فهو اعتراف بفضل المنعم، وإقرار بأن النعمة من الله وحده، وحمد له عليها، واستعمال لها في طاعته وما أباحه وأحبه؛ فالعين نعمة، وشكرها أن تُصان عن الحرام؛ واللسان نعمة، وشكره أن يُستعمل في الخير والصدق والذكر؛ والمال نعمة، وشكره أن يُؤدّى حق الله فيه، ويُنفق في وجوه البر، ولا يُستعمل في معصيته؛ والوقت نعمة، وشكره أن يُعمر بما ينفع في الدنيا والآخرة.

 كان الحسن البصري رحمه الله من أشد الناس عنايةً بإصلاح قلبه، وكان يرى أن صلاح الظاهر لا يغني عن صلاح الباطن، وأن العبد يحتاج إلى لحظات يخلو فيها بنفسه فيراجع عمله ويحاسب قلبه، ومن هنا كانت خلوة الليل فرصة عظيمة لمراجعة النفس؛ فما أخطأ فيه الإنسان نهائاً يستغفر منه ليلاً، وما عجز عنه قلبه في زحام الدنيا يستمد له العون من ربه في هدوء السجود.

 ولأنك الله يعلم العبد أن نعمك عليه أكثر من أن يحيط بها العبد، وأن ما يظنه قليلاً قد يكون وراءه من لطفك وحكمتك ما لا يعلمه؛ فيتعلّم أن ينظر إلى النعم بعين الاعتراف لا بعين الاستحقاق، وأن يقول في قلبه ولسانه: ما بي من نعمة فمذك

وحدك؛ فلك الحمد أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، على ما أنعمت به، وعلى ما دفعت من السوء، وعلى ما يسّرت من أسباب الخير، وعلى ما قدّرت به بحمكتك؛

 **ولأنك الله** كلما تذكّر المؤمن ذلك، ازداد تواضعاً لربه، وأسرع إلى الاستغفار عند التقصير، وحفظ قلبه من الغفلة؛ فلا يستكثر طاعةً فعلها، ولا يستصغر نعمةً أسديت إليه، ولا يجعل تقصيره حجاباً بينه وبين الرجاء؛ بل يعود إلى الله كلما غفل، ويحمده كلما تذكّر، ويستعين به على شكره؛ فهو سبحانه المنعم المتفضل، الحكيم في قضائه وتقديره، الرحيم بعباده؛ والعبد بين نعمٍ لا يحصيها، وتقصيرٍ لا ينكره، ورجاءٍ في رحمة الله لا ينقطع؛ فيبقى قلبه معلقاً بربه، لسانه ذاكراً، وجوارحه مستعملةً فيما يحب الله ويرضى

❖ تطبيق عملي للتزكية:

الشكر عبادة تجمع اعتراف القلب بنعمة الله، وحمد اللسان له، واستعمال الجوارح فيما يرضيه؛ لذلك ليختر المسلم كل يوم نعمة ظاهرة، كالصحة أو الوقت أو المال أو الأهل، ثم يسأل نفسه: كيف استعملت هذه النعمة؟ وهل أعانتني على الطاعة أم شغلتنني عنها؟

فإذا تحوّل الشكر من كلمة على اللسان إلى طاعة في الجوارح، أصبح للنعمة أثر في القلب والسلوك، وصار العبد يرى فضل الله في حياته لا ليغتر به، بل ليزداد افتقاراً إليه وحمداً له.

مناجاة القلوب

في لحظات الخلوة، حين يسكن الضجيج من حول العبد، وتهدأ النفس من شواغل الدنيا، يجد فسحةً يناجي فيها ربه بصدقٍ وافتقار؛ لا يحتاج إلى تكلف الألفاظ ولا إلى زخرفة الدعاء، بل يكفيه أن يرفع حاجته إلى الله، ويعترف بضعفه، ويسأله العون والهداية؛ هناك تخف وطأة الدنيا، ويصبح السكون معيّنًا على مراجعة النفس، واستحضار عظمة الله، وتجديد العهد بالرجوع إليه

🌱 **ولأنك الله** يقول العبد في خلوته: يا رب، أنا ضعيف، فقوّنِي على طاعتك، وأعنيّ على ما يعجزني؛ فيتذكر أن القوة لله جميعًا، وأن العبد لا يستغني عن ربه طرفة عين، وأن قوته الحقيقية فيما يمنحه الله من توفيق وثبات وعون

🌱 **ولأنك الله** يقول: يا رب، أنا جاهل، فعلمني ما ينفعني، واهدني إلى الرشd، وارزقني بصيرةً تعينني على معرفة الحق واتباعه؛ ويستحضر قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^١؛ فيدرك أن الهداية فضلٌ من الله، وأن عليه أن يسأله العلم النافع، وأن يأخذ بأسباب الهدى والصلاح

ويقول بافتقاره: يا رب، أنا فقير إليك، فاكفني بحلالك، وأغنِ قلبي بك عمّن سواك؛ فيهدأ اضطرابه، ويستقر في نفسه معنى

١ الإنسان: ٣٠

الافتقار إلى الغني سبحانه، ويتعلم أن غنى القلب ليس بكثرة ما يملك، وإنما بحسن التعلق بالله، وصدق التوكل عليه، والرضا بما قسمه لعبده

ولأنك الله  فإن المناجاة لا تحتاج إلى البلاغة بقدر حاجتها إلى صدق القلب؛ وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال في صلاته: أسأَلُ اللهَ الجنةَ، وأعوذُ به من النارِ، فقال رسول الله ﷺ: **إني ومعاذًا حولَ هاتينِ، أو نحوَ هذا؛** رواه أبو داود، وصححه الألباني؛ والمعنى أن دعاء النبي ﷺ ومعاذ رضي الله عنه كان يدور حول سؤال الله الجنة والاستعاذة من النار، وفي ذلك بيان أن العبرة بصدق الدعاء وحضور القلب، لا بتكلف الألفاظ

ولأنك الله  فأنت تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾**^١؛ فلا يحتاج العبد إلى زخرفة شكواه، ولا إلى إظهار ما ليس في قلبه، وإنما يكفيه أن يصدق مع ربه، ويعرض فقره وحاجته بين يديه، ويعلم أن الله لا تخفى عليه خافية وهكذا تصبح الخلوة فرصةً لمراجعة النفس وتجديد التوبة، وليست مقامًا لادعاء منزلة خاصة أو حالٍ مميز؛ فيها يهدأ القلب، ويكثر الذكر، ويستعيد العبد صلته بربه، وتتحول المناجاة من كلماتٍ عابرة إلى أثرٍ يظهر في السلوك؛ طاعةً واستقامةً، وتركًا للمعصية، وإقبالًا على ما يرضي الله

١ غافر: ١٩

ومن قصص الصالحين قصة محمد بن المنكدر رحمه الله؛ فقد كان من العباد المعروفين، وكان شديد التعظيم للصلاة والذكر، حريصاً على أن تكون بينه وبين الله أعمالاً لا يطلع عليها الناس. وكانت له خلوات يناجي فيها ربه ويحاسب نفسه، حتى كان يرى أن أعظم ما يعين القلب على الثبات أن يكون له عملٌ خفيٌّ لا يعلمه إلا الله.

ونتعلم من سيرته أن الخلوة ليست مجرد ابتعاد عن الناس، وإنما هي عودة إلى الله؛ ففيها يضع العبد عن قلبه أثقال الدنيا، ويعترف بضعفه وفقره، ويجدد توبته وعهده بالطاعة. وما أجمل أن يكون للمؤمن بينه وبين ربه دعاءٌ لا يسمعه أحد، ودعوةٌ لا يراها أحد، وسجدةٌ لا يعلم بها أحد؛ فهناك يتربى الإخلاص، ويستقيم القلب، ثم يظهر أثر تلك الخلوة في حياة العبد وسلوكه.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

خصص كل يوم دقائق للخلوة الهادئة؛ استحضر فيها ضعفاً أو حاجةً واحدة، ثم ارفعها إلى الله بدعاء صادق ومختصر، واستغفره، واسأله الهداية والعون؛ وليكن المقصود تدريب القلب على الافتقار إلى الله، لا انتظار شعور استثنائي؛ فصدق الرجوع إليه هو المقصود، واستمرار الطاعة هو أثره الأجل.

حنين العودة الأبدي

يا من له القلب كله، ويا من جعلت في النفس فطرةً تتطلع إلى الهدى، إذا ابتعد العبد عن ربه أثقلته وحشة البعد، ثم لا يلبث أن يجد قلبه يلتفت إلى الله؛ لا دعوى ولا اضطرارًا، بل افتقارًا ورجاءً. وكما يهتدي المسافر بضوء القمر ولا يملكه، يهتدي القلب بآثار الإيمان والطاعة، ويستمد من ربه السكينة والتوفيق.

وقد يشعر الإنسان، وسط تراكم التقصير والذنوب، أن عفو الله ورحمته أوسع من ضعفه، فيعود إليه منكسرًا، لا متظاهرًا بالكمال، بل معترفًا بفقره وحاجته إلى المغفرة.

 ولأنك الله: فتحت لعبادك باب التوبة، ولم تجعل الذنب نهاية الطريق؛ فقلت سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^١.

فالتوبة ليست كلمةً يقولها اللسان، وإنما رجوعٌ صادق يقتضي الندم على الذنب، والإقلاع عنه، والعزم على عدم العودة إليه، وردَّ الحقوق إلى أهلها إن تعلقت بالعباد، ولذلك لا ينبغي للعبد أن يجعل كثرة عثراته سببًا للقنوط، ما دام باب التوبة مفتوحًا؛ وقد وضع ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب**

مسيء الليل^١؛ وفي الحديث القدسي الذي رواه الترمذي يقول الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي^٢؛ فيبكي القلب حينئذ رجاءً لا يأساً، ويفهم أن التوبة ليست هزيمةً أمام الضعف، بل رجوعٌ إلى الله، واستئنافٌ لطريق الإصلاح.

 ولأنك الله رغبت بالتوبة وقبولك لها فقلت سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^٣، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَذْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ.**^٤

فإذا ضاقت النفس بثقل ما مضى، لم يكن أمام العبد إلا أن يعود إلى ربه برجاء صادق، ويسأله أن يبدل عثرته استقامةً،

١ ابن خزيمة، التوحيد لابن خزيمة (١/١٧٦) • [أشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح] • أخرجه مسلم (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩).

٢ ابن القيم، مدارج السالكين (٢/٢٢٥) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٠) •
٣ الشورى: ٢٥

٤ صحيح مسلم، تهذيب السنن (٢٧٤٤)؛ وأخرجه البخاري (٦٣٠٨) باختلاف يسير.

وضعفه قوةً في الطاعة، وحيرته هدايةً، وأن يرزقه صدق التوبة وحسن الثبات.

حين يصبح الصدق طريقًا إلى النجاة

لكن التوبة ليست معنى يُقرأ فحسب؛ أحيانًا تحتاج إلى قصة تُريك كيف يكون الصدق حين يصبح ثمنه ثقیلاً، وكيف يأتي الفرج بعد أن تضيق السبل. ومن أعظم قصص التوبة قصة كعب بن مالك رضي الله عنه.

فقد تخلف كعب عن غزوة تبوك من غير عذر، وكان يستطيع أن يخلق للنبي ﷺ عذرًا ينجو به من العتاب، كما فعل بعض المتخلفين، لكنه اختار طريقًا أشق في بدايته وأصدق في نهايته؛ فاعترف بتقصيره، وقال للنبي ﷺ إنه لا عذر له.

ولم تكن الصراحة يومها طريقًا سهلًا؛ فقد أمر النبي ﷺ بهجره، فاشتد عليه البلاء، وضائق عليه الأرض بما رحبت، ومضت عليه خمسون ليلة في عزلة وألم، حتى بلغ به الأمر أن شعر أن الدنيا على سعتها قد ضاقت عليه.

ومع ذلك، لم يهرب كعب من خطئه، ولم يجمّل ذنبه، ولم يجعل من البلاء سببًا لليأس؛ بل بقي صادقًا نادمًا، ينتظر فرج الله، حتى جاءت الرحمة بعد طول انتظار، وأنزل الله تعالى توبته وتوبة صاحبيه، فقال سبحانه:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^١.

 ولأنك الله: نتعلم من قصة كعب رضي الله عنه أن التوبة تبدأ حين يتوقف الإنسان عن الهروب من حقيقة نفسه؛ فيعترف بضعفه، ويواجه تقصيره، ويعود إلى ربه بقلب صادق لا يتعلل ولا يتجمل.

وقد يمر التائب بلحظات يظن فيها أن الطريق قد أغلق، وأن ما فعله أكبر من أن يُغفر، لكن رحمة الله تأتي في الوقت الذي يقدره سبحانه. فكما ضاقت على كعب الأرض بما رحبت، فتح الله له بابًا من رحمته لم يكن يراه.

وهكذا لا يكون الندم نهاية الطريق، بل بدايته؛ ولا تكون العثرة إعلانًا للهزيمة، بل فرصة للقيام من جديد. فربما كان الذنب الذي أبكاك بين يدي الله سببًا في قلب أكثر خشوعًا، ونفس أكثر صدقًا، وحياة أشد تعلقًا به.

ومن صدق في رجوعه إلى الله، وجد أن باب التوبة أوسع من ذنبه، وأن الله سبحانه التواب الرحيم.

تطبيق عملي للتزكية

تذكر ذنبًا واحدًا تريد أن تتوب منه بصدق، ثم لا تجعل توبتك مجرد شعور؛ اتخذ خطوة إصلاح واضحة: اترك سبب الذنب، أو ردَّ حقًا، أو عوّض تقصيرًا، أو الزم عملًا صالحًا ثابتًا.

في مدرسة البلاء

ليس الطريق إلى الله طريقًا يخلو من الألم؛ فالدنيا دار ابتلاء، والإنسان فيها بين نعمة تحتاج إلى شكر، ومصيبة تحتاج إلى صبر، وأمر لا يعلم حكمته كاملةً إلا الله؛ ولذلك لا يظهر صدق الإيمان في أوقات السعة وحدها، بل يظهر أيضًا حين تضيق الطرق وتتغير الأحوال.

حين نفقد شيئًا نحبه، أو يتأخر عنا ما نرجوه، أو نقف أمام أمر لا نستطيع فهمه، قد يتساءل القلب: لماذا؟ وليس مطلوبًا منه أن يدعي معرفة الحكمة فيما يخفى عليه، وإنما أن يثق بربه، وأن يصبر، وأن يحسن الظن به، وأن يأخذ بالأسباب التي يستطيعها، وأن يعلم أن علم الله أوسع من علمه وحكمته أعظم من إدراكه.

في مدرسة البلاء نتعلم أن الصبر ليس استسلامًا للعجز، وأن الرضا ليس إلغاءً للمشاعر، وأن الدموع لا تناقض الإيمان؛ فقد يبكي القلب ويتألم، ومع ذلك يبقى متعلقًا بالله، راجيًا رحمته، مستعينًا به؛ وهنا ينضج القلب، ويتحول الألم من مجرد جرح إلى مساحة يتعلم فيها الإنسان الصبر، والافتقار، وحسن الظن بالله.

في كل محنة يمر بها المسلم، قد يشعر كأنه ينتقل إلى فصل جديد في مدرسة البلاء؛ مدرسة لا تُدرّس دروسها بالكلمات، بل تُفهم بالتجربة، وتترك في القلب من المعاني ما لا تتركه

المواعظ وحدها؛ ففي المرض يتعلم قدر العافية، وفي الفقر يعرف قيمة ما كان بين يديه، وفي ضيق الرزق يكتشف أن الغنى ليس بكثرة المال وحدها، بل بقناعة القلب وحسن شكره لله، وأن حاجات الإنسان قد تقل حين يستغني قلبه بالله عما في أيدي الناس.

والبلاء، وإن اشتد، ليس دليلاً لازماً على سخط الله، كما أن العافية ليست دليلاً قاطعاً على رضاه؛ وإنما هو من أقدار الله التي يُبتلى بها العبد، وقد يكون فيه تكفير للذنوب، ورفع للدرجات، وتذكير وموعظة، وقد يخفى على العبد وجه الخير فيه حين نزوله؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَبْلَوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلَوْا أَخْبَارَكُمْ﴾^١؛ والله سبحانه عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يظهر بالابتلاء ما يعلمه الله من أفعال العباد في واقعهم، فيتبين الصادق في صبره، ويجاهد الإنسان نفسه بين الجزع والصبر، وبين الضعف وحسن التوكل.

وفي مدرسة البلاء، يتعلم العبد ألا يجعل الراحة وحدها معيار الطريق؛ فيعرف قيمة الصبر، وحسن الظن بالله، والصبر على قضائه، مع بذل الأسباب؛ وقد يخذه بعض الناس في لحظة ضعفه، فيدفعه ذلك إلى مزيد من الافتقار إلى الله، لا إلى ترك الخلق أو إهمال الأسباب؛ فيدعو ربه، ويأخذ بما يستطيع، ثم يفوض ما لا يقدر عليه إلى الله.

🌱 ولأنك الله يتذكر العبد بشارتك التي تبعث في النفس رجاءً صادقاً: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^١؛ فيدرك أن العسر- ليس نهاية الطريق، وأن اليسر- قد يكون فرجاً يأتي، أو قوة يمنحها الله، أو أجرًا يدخره، أو بصيرة يوقظها الابتلاء في القلب.

وهكذا لا يعود البلاء مجرد ألم يُحتمل، بل يصبح مجالاً يتعلم فيه العبد الصبر، وصدق الافتقار، وحسن التوكل؛ فيخرج من محنته بقلب أكثر معرفة بضعفه، وأشد تعلقاً بربه، وأرجى لرحمته، دون أن يجزم بما وراء القدر، أو يدّعي معرفة الحكمة الكاملة من كل ما نزل به.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 في كل محنة تمر بها، اعمل على أن تظل قريباً من الله، ولا تجعل المواقف الصعبة سبباً لابتعادك عن عبادته أو التسليم لإرادته؛ اجعل الدعاء سلاحك، والذكر زادك، وحسن الظن بالله طريقك.

🌱 تطبيق عملي: أخذ العبر من كل محنة: إذا مررت بضيق أو ابتلاء، قم بمراجعة نفسك: هل انتابتك القناعة؟ هل صبرت؟ هل كان لك حسن الظن بالله؟

١ الشرح: ٦-٥

سرّ القرب

بعد أن يسير الإنسان في طريق المعرفة والذكر والعبادة، ويذوق الصبر والشكر، يعود مرة أخرى إلى قلبه؛ فصلاحي الطريق لا يكتمل بكثرة الأعمال وحدها، وإنما يحتاج إلى قلب يتطهر من الرياء والكبر والحسد وسائر ما يفسد العمل ويعكر صفو الروح.

القلب هو موضع نظر العبد إلى نفسه، وفيه تتشكل النيات، ومنه تنطلق المحبة والخوف والرجاء؛ ولذلك فإن تزكياته ليست مرحلة عابرة، بل مجاهدة مستمرة ما دام الإنسان حيًّا؛ كل يوم يراجع نيته، ويجدد توبته، ويصحح قصده، ويسأل الله قلبًا سليمًا.

وفي هذه الرحلة تتضح حقيقة المحبة؛ فمحبة الله ليست مجرد شعور وجداني، بل عبادة تقتضي- اتباع أمره، وتعظيمه، والافتقار إليه، وحسن الظن به، والصبر على طاعته؛ وكلما صدقت المحبة ظهر أثرها في العمل.

هنا يصبح الرجوع إلى الله ليس فكرةً بعيدة، بل عادةً يومية؛ كلما أخطأ العبد تاب، وكلما غفل ذكر، وكلما ضعُف استعان، وكلما ابتعد عاد؛ حتى يصبح القلب أكثر صدقًا، وأكثر معرفةً بحاجته الدائمة إلى ربه.

كلما ازداد العبد معرفةً بربه، ازداد شعوره بعظمته، وبضعف الإنسان أمام جلاله وكماله؛ وكلما فتح الله له بابًا من العلم والإيمان، أدرك أن كمال الله سبحانه أوسع من أن تحيط به

العقول أو تبلغه الأفهام؛ وأن الطريق إليه ليس ادعاء مقام عظيم، وإنما هو صدق العبودية، ودوام الافتقار، والتواضع، وحسن التوكل، والاستعانة به في كل شأن.

 **ولأنك الله** ذو الجلال والإكرام، يجد القلب في العبودية كرامته الحقيقية؛ فحين يعرف الإنسان قدر نفسه، ويشهد فقره إلى ربه، يسقط عنه وهم الاستغناء، ويصبح انكساره بين يدي مولاه بابًا إلى الخضوع والطاعة؛ وما أعظم حاجة البشر إلى الهداية، في عالم تتعدد فيه صور الضلال والغفلة؛ فالعبد لا يستغني عن نور الوحي، ولا عن توفيق الله ولطفه.

 **ولأنك الله** يعلم العبد أن معرفتك ليست إحاطةً بذاتك، ولا بلوغًا لحقيقة كمالك، وإنما هي معرفة بما عرّفت به نفسك في كتابك، وعلى لسان نبينا ﷺ، وما يثمره ذلك من إيمان وخشية ومحبة ورجاء؛ وكلما استقرت هذه المعرفة في القلب، أورثته أدبًا وتواضعًا، وحملته على الطاعة، وأبعدته عن دعوى ما لا يعلم.

ويستحضر- قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^١؛ فتذكره الآية بأن عظمة الله أجل من أن يحيط بها وصف مخلوق أو علم محدود؛ ثم يوقن أن التسليم لله ليس تعطيلاً للعقل، بل اعتراف بحدود المخلوق أمام علم الخالق، وافتقار القلب إلى ما علمه الله وهداه إليه.

ويزداد هذا المعنى وضوحًا عند قوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^١؛ فالله سبحانه لا تحيط به الأبصار، ولا تدركه العقول إحاطةً؛ ومع ذلك يعرف العبد ربه بما دل عليه الوحي من أسمائه وصفاته وآياته وأثار رحمته وحكمته في خلقه.

وحين يتأمل العبد ما منحه الله من علم، يعلم أنه فضل محض، وأن ما خفي عنه أكثر مما أدركه؛ ويستحضر قول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^٢، ويستحضر قول النبي ﷺ: لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك؛ عندها يزداد تواضعًا؛ إذ يعلم أن الثناء على الله مهما بلغ لا يستوفي كماله، وأن أعظم ما يورثه العلم بالله هو مزيد من الخشية والافتقار وحسن الأدب.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 كلما شعرت بتقدمك في معرفة الله، تذكر أنك لا تستطيع أن تحيط بعلمه؛ هذا الشعور يعينك على التواضع وعدم الغرور، ويجعلك أكثر إقبالًا على عبادة الله بقلب طاهر.

🌱 اعمل على ممارسة التواضع في كل تصرفاتك اليومية، سواء في التعامل مع الناس أو في علاقتك مع الله؛ فالتواضع هو السبيل الوحيد للتقرب من الله، ولتحقيق القرب الحقيقي منه.

١ الأنعام: ١٠٣

٢ سورة سورة البقرة: ٣٢

ظلّ التوكل الوارف

حين يتوكل العبد على الله توكلاً صادقاً، يجد في قلبه سكينة تعينه على حمل ما أثقله، وتخف وطأة القلق حين يعلم أن أمره كله إلى رب حكيم؛ لا يعني ذلك أن الهموم تختفي، أو أن الحياة تخلو من الفقد والابتلاء؛ وإنما يتغير موقف القلب منها، فيستعين بالله، ويأخذ بالأسباب، ثم يسلم له ما لا يملك تدبيره.

 **ولأنك الله** يعلم العبد أن التوكل ليس كلمة تُقال، ولا تُرگا للأسباب، بل عبادة قلبية تقوم على الثقة بالله، والافتقار إليه، وحسن الظن به، مع بذل الوسع فيما أباحه من أسباب؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^١؛ فحسب العبد أن يكون الله كافيه فيما يعجز عنه، وناصره حين تضيق به السبل، وهاديه إلى ما فيه الخير؛ من غير أن يظن أن الكفاية تعني تحقق كل ما يتمناه.

وقد بين النبي ﷺ حقيقة التوكل بقوله: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصاً، وتروح بطاناً رواه الترمذي؛ فالطير لا تبقى في أعشاشها منتظرة الرزق، بل تغدو وتروح؛ وفي ذلك إشارة إلى اجتماع صدق الاعتماد على الله مع السعي في طلب الرزق.

١ سورة الطلاق: ٣

ولأنك الله يدرك العبد أن الأسباب لا تستقل بالتأثير، وأن النتائج بيدك سبحانه؛ فيعمل، ويخطط، ويستشير، ويجتهد، ثم لا يجعل قلبه أسيرًا لسبب، ولا يعلق طمأنينته على نتيجة بعينها؛ فإذا تيسر له ما يرجو، حمد الله، وإذا جرى الأمر على خلاف أمله، لم يظن أن تدير الله قد خانته؛ بل يعلم أن الله أعلم بعواقب الأمور، وأن ما يقدره يجري بعلم وحكمة. قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^١؛ وهذه الآية ترد القلب إلى أصل عظيم: أن أقدار الله لا تخرج عن علمه، وأن لكل شيء قدرًا ووقتًا وحكمة؛ فلا يستعجل العبد ما تأخر، ولا ييأس مما ضاق، ولا يغتر بما اتسع.

ومع التوكل يتعلم القلب أن الطمأنينة ليست في ضمان المستقبل، وإنما في حسن الاعتماد على من بيده المستقبل؛ وقد يشعر الإنسان بالخوف، لكنه لا يستسلم له؛ وقد تضطرب نفسه، لكنه يعود إلى ربه بالدعاء والاستعانة؛ وهنا يصبح التوكل قوة تدفعه إلى العمل، لا ذريعة إلى القعود، وسكينة تعينه على الثبات، لا وعدًا بحياة خالية من الألم.

ولأنك الله يدرك المؤمن أن حياته مع التوكل على الله سكونية تتجدد كلما لامسه العجز، وطمأنينة يجد أثرها حين تثقل عليه الهموم؛ فيعلم أن ربه معه بعلمه وتوفيقه ونصره،

١ سورة الطلاق: ٣

وأن حكمته لا تُحاط بها العقول، وإن ظهرت للعبد بعض آثارها في مجريات حياته؛ وكلما ازداد قلبه اعتمادًا على الله، ازداد هدوءًا وتواضعًا، وكلما فوّض إليه ما عجز عن تديره، انحسر اضطراب النفس، وحلّ مكان الحيرة رجاءٌ وثقةٌ بحسن تديره؛ وما أجمل أن يتنفس القلب معك، وما أعظم أن يتحرك المرء بقدرتك وإرادتك، وما أسمى أن يعبر الإنسان الحياة على ضوء توكله على الله، مستشعرًا أنه في رعاية الرحمن التي لا تضام.

✽ تطبيق عملي للتزكية:

 **التأمل في وعد الله:** عندما يشعر الإنسان بالهم أو القلق، فليذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾؛ ثم يرفع يديه إلى الله، ويسأله صدق التوكل وحسن الاعتماد عليه، ويفوض إليه ما يعجز عن تديره، مستحضراً أن السكينة ثمرة من ثمرات الإيمان، وأن القلب كلما صدق افتقاره إلى ربه كان أرحى للثبات والطمأنينة.

 **العمل مع التوكل:** يبدأ يومه مستعينًا بالله، ويجتهد في أداء ما عليه من واجبات، ويسلك الأسباب المشروعة التي أقدره الله عليها، ثم لا يجعل قلبه معلقًا بها؛ فالأسباب تُؤخذ، لكن النفع والنتائج بيد الله

 **الثبات عند المحن:** إذا نزلت به شدة أو تعسر - عليه أمر، فليجعلها فرصةً لمراجعة قلبه وتجديد توكله، دون أن يتخلى عن السعي المشروع وهكذا يصبح التوكل منهجًا عمليًا: دعاءً، وسعيًا، وصبرًا، وتسليمًا، وحسن ظن بالله.

لغة الدموع الناطقة

حين تعجز الكلمات عن حمل ما في القلب، وقد تضيق الحروف عن وصف ما يعتري النفس من خوف ورجاء وندم، قد تأتي الدموع فتكون أصدق تعبير عن حالٍ يعجز اللسان عن بيانه؛ ليست الدموع في ذاتها دليلاً على منزلة خاصة، لكنها قد تكون ثمرةً لخشية صادقة، أو ندم على تقصير، أو رجاء في رحمة الله؛ وحين تنزل من عينٍ أرهقها الشعور بالافتقار، يجد الإنسان فيها لحظة صدق يعود بها إلى ربه.

فالدعوة التي تنشأ من خشية الله ليست مجرد أثرٍ عابر على الوجه؛ إنها قد تكون علامةً على تأثر القلب بالموعظة وتذكر الآخرة واستشعار عظمة الخالق؛ وقد قال النبي ﷺ: **عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله؛** وهو حديث حسن، وصححه أهل الحديث.

 **ولأنك الله أرحم الراحمين،** يقف العبد عند بابك مثقلاً بتقصيره، لا متكلاً على دموعه، ولا جازماً بقبول عمله، وإنما راجياً رحمتك، مستغفراً لذنبه، مؤملاً عفوك؛ وقد تكون الدعوة الصادقة أبلى من كثير من الكلام؛ لأنها تذكّر القلب بحاجته إليك، وتدفعه إلى التوبة والعمل الصالح، وتفتح فيه باب الخشوع والإنابة.

وحين يبكي الإنسان من خشية الله، لا يكون بكاؤه مجرد حزن، بل قد يجتمع فيه الخوف والرجاء، والندم والمحبة، وتعظيم الله والرغبة فيما عنده؛ ومن هنا يصبح البكاء باعثاً على إصلاح

القلب، لا غايةً يتوقف عندها العبد؛ فالعبرة أن تحمل الدمعة صاحبها إلى طاعة، وأن يقوده الندم إلى توبة، وأن يتحول الخوف إلى عمل، والرجاء إلى إحسان.

 **ولأنك الله** تعلم ما تخفي الصدور وما تعجز الألسن عن وصفه؛ فلا يحتاج العبد إلى أن يشرح لك حاله، فأنت العليم بحاجته، الخبير بضعفه، المطلع على سره وعلا نيته؛ وحين يستحضر ذلك، لا يدعي قربًا خاصًا، ولا يجعل مشاعره ميزانًا لرضا الله عنه، بل يزداد تواضعًا وافتقارًا، ويعلم أن أعظم ما يحتاج إليه هو رحمة ربه وهدايته وتوفيجه.

وقد تكون لحظة البكاء الصادق بداية عودة بعد غفلة، أو نقطة تحول بعد تقصير، أو استراحة قلبٍ أنهكتها الذنوب والمخاوف؛ لكن الدموع وحدها لا تكفي؛ فالصدق يظهر فيما بعدها: في ترك الذنب، وأداء الحق، ورد المظالم، والمحافظة على الطاعة، وحسن الظن بالله، والإكثار من الاستغفار.

 **اللهم** إن نزلت من عيني دمعة خشيةً منك أو ندمًا على تقصير، فلا تجعلها مجرد لحظة عابرة؛ اجعلها سببًا لخشوع قلبي، وصلاح عملي، وصدق توبتي؛ اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وطهر قلبي من الغفلة، وارزقني خشيتك في الغيب والشهادة، واجعل رجوعي إليك صادقًا، وثبتني على طاعتك؛ اللهم لا تجعل بكائي رياءً ولا طلبًا لمنزلة، بل اجعله بابًا إلى التوبة، ودافعًا إلى العمل الصالح، ورجاءً في رحمتك وعفوك.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

الاستجابة لنداء القلب :حين يشعر الإنسان بضيق أو ألم، فليتذكر أن الضعف البشري باب إلى الافتقار إلى الله، وليس عيبًا يُستحيا منه؛ فإن غلبته الدموع، فليدعها تخرج من قلب خاشع، وليجعلها باعثًا على الدعاء والاستغفار، مستحضرًا أن الله يعلم سره وعلا نيته، ويعلم حاجته قبل أن ينطق بها.

التجرد من الكبرياء أمام الله :إذا شعر العبد بحاجته إلى ربه، فليترك دعوى الاستغناء، وليقبل عليه بقلب متواضع، يسأله العون والهداية والمغفرة؛ وليس المقصود أن تكون الدموع غايةً في ذاتها، وإنما أن يكون القلب صادقًا في افتقاره، وأن يتحول هذا الشعور إلى عبادة وطاعة وحسن توكل.

تحويل البكاء إلى توبة :إذا نزلت الدموع بسبب ذنب أو تقصير، فلا يكتفِ العبد بالتأثر؛ بل يتبع ذلك باستغفار صادق، وعزم على ترك الذنب، ورد الحقوق إلى أهلها إن تعلقت بهم؛ فثمرة الخشوع أن يتغير العمل، وتتحول لحظة التأثر إلى خطوة حقيقية في طريق الإصلاح.

في مدرسة الصبر الجميل

كل محنة يمر بها الإنسان، وكل شدة تصادفه، قد تكون بابًا يتعلم فيه الصبر، ويكتشف من خلالها شيئًا من ضعفه وحاجته إلى الله؛ فالشدائد لا تُدرّس بالحروف، وإنما تكشف للعبد عن حقيقة نفسه حين تضيق به الأسباب، وتدعوه إلى الثبات والاستعانة والرجوع إلى ربه؛ وليس معنى الابتلاء أن كل ألم عقوبة، ولا أن كل شدة تحمل حكمة بعينها يستطيع العبد إدراكها؛ فقد يكون البلاء تكفيرًا للذنوب، أو رفعًا للدرجات، أو اختبارًا للصبر والإيمان، والله أعلم بما وراء أقداره.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^١؛ فتفتح هذه الآية أمام القلب باب الرجاء، وتذكره بأن الصبر عند الله ليس ضياعًا للألم، بل عبادة يؤجر عليها العبد إذا احتسب وصبر؛ وكلما اشتدت وطأة البلاء، تذكر أن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأن ما لا يستطيع الإنسان تغييره يستطيع أن يغيّر موقفه منه؛ فيصبر، ويدعو، ويأخذ بالأسباب، ويرجو الفرج من ربه.

 ولأنك الله يتعلم العبد أن الصبر ليس إنكارًا للألم، ولا ادعاءً بأن القلب لا يحزن؛ فقد يتألم المؤمن، ويبكي، ويشتهي ضعفه إلى الله، ثم يمنعه إيمانه من التسخط على حكمه أو الوقوع فيما لا يرضيه؛ وهنا يصبح الصبر ثباتًا مع المشقة،

^١ سورة الزمر: ١٠

واحتسابًا للأجر، واستمرارًا في الطاعة رغم ثقل الطريق؛ أما الرضا، فهو مقام أرفع، يطلبه العبد ويسأل الله أن يرزقه إياه، من غير أن يجعل الحزن الطبيعي أو طلب رفع البلاء نقصًا في الإيمان.

وقال رسول الله ﷺ: **والصبر ضياء** رواه مسلم؛ فالضياء لا يلغي الظلام، لكنه يمنح السائر ما يهتدي به خلاله؛ وكذلك الصبر لا يمحو الألم بالضرورة، لكنه يمنح القلب قدرة على احتماله من غير أن يفقد رجاءه أو يترك طاعته؛ وقد يكون البلاء سببًا في مراجعة النفس، ورد المظالم، والإكثار من الاستغفار، وإعادة ترتيب ما غفل عنه القلب.

 **ولأنك الله** لا ينظر العبد إلى الشدة باعتبارها طريقًا وحيدًا إلى الخير؛ فالنعم أيضًا ميادين للشكر، والعافية فرصة للطاعة، والسعة امتحان كما أن الضيق امتحان؛ وإنما الخير فيما يعين العبد على عبادة ربه في كل حال؛ فإذا نزل به ما يكره، سأل الله العون واللفظ والفرج، وإذا جاءه ما يحب، حمده وشكره، وعرف في الحالين أنه محتاج إلى ربه.

وفي أثناء المحنة، قد يشعر الإنسان أن الطريق طال، وأن الفرج بعيد؛ لكنه يتعلم ألا يجعل تأخر ما يرجو دليلًا على خذلان الله له؛ فالله سبحانه أعلم بعواقب الأمور، وقد يقدر للعبد ما يكره وفيه من الخير ما لا يراه، وقد يصرف عنه ما يحب رحمةً به؛ وليس على العبد أن يعرف الحكمة كاملة؛ يكفي أن يثق بحكمة ربه، ويستمر في السعي المشروع، ويترك ما وراء قدرته لله.

✽ تطبيق عملي للتركيز:

 **الانتفاع بالابتلاء:** حين تنزل بالإنسان شدة، فليسأل نفسه: ما العمل الصالح الذي أستطيع فعله الآن؟ لا يلزمه أن يعرف حكمة البلاء كاملة، وإنما ينتفع به إذا حمله على الصبر، والدعاء، ومراجعة النفس، والرجوع إلى الله، مع الأخذ بالأسباب التي تخفف أثره.

 **العمل مع الصبر:** الصبر ليس انتظارًا سلبيًا، بل ثبات على ما ينبغي فعله مع احتمال المشقة؛ فليواصل العبد سعيه، وليطلب العون، وليستعن بأهل الخبرة، وليحفظ جوارحه عن الخطأ، ولسانه عن التسخط، وقلبه عن اليأس؛ فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

 **تمرين عملي:** عند مواجهة ابتلاء، ليهدأ قليلًا، ثم يقول: اللهم أعني على هذا البلاء، وارزقني فيه الصبر، واهدني إلى ما تحبه وترضاه؛ ثم يسأل نفسه: ما الذي يؤلمني؟ وما السبب المشروع الذي أستطيع الأخذ به؟ وما العبادة أو الخلق الذي أريد المحافظة عليه؟ وفي نهاية اليوم، يستغفر مما أخطأ فيه، ويحمد الله على ما أعانه عليه؛ وهكذا يتحول الصبر إلى عبادة تجمع بين الثبات والعمل والدعاء وحسن الظن بالله.

لذة المناجاة الخالصة

في جنح الليل، حين تهدأ الأصوات ويخف ضجيج الحياة، يجد العبد فسحةً يراجع فيها نفسه، فيقوم إلى ربه بصلاةٍ ودعاءٍ وذكر، بعيدًا عن أعين الناس وشواغل النهار. وهناك، حين تخف أثقال الدنيا، قد يجد في قلبه سكينَةً تعينه على التأمل، ويجد في الدعاء بابًا من الرجاء، وفي قيام الليل عونًا على استجماع القلب ومراجعة ما اضطرب من أمره.

ولأنك الله  يجد العبد في ساعات الليل فرصةً لإخلاص العبادة وتجديد العهد بالطاعة؛ فيتذكر قولك تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^١ فيدرك أن الولاية ليست دعوى ولا شعورًا عابرًا، وإنما إيمان وتقوى، وأن ما يجده المؤمن من طمأنينة إنما هو من آثار الإيمان والاستقامة، لا شهادةً قاطعةً على القبول.

وقال تعالى في وصف أهل قيام الليل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ السجدة: ١٦. فقيامهم ليس هروبًا من الحياة، بل إقبالًا على الله بالعبادة؛ يجتمع فيه الخوف من التقصير، والرجاء في الرحمة، والرغبة في القبول.

١ سورة يونس: ٦٢-٦٤

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^١

 **ولأنك الله** يتعلم العبد أن خلوته في الليل ليست خلوةً بالله بمعنى المكان، وإنما هي انفراد عن الخلق وشواغلهم، يتوجه فيها إلى ربه بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن، مستحضرًا أن الله سبحانه مطلع عليه، سامع لدعائه، عالم بسريرته. وقد تهدأ النفس في تلك الخلوة، وقد يبقى الألم؛ فليس صدق العبادة متوقعًا على دمة أو انفعال، وإنما العبرة بالإخلاص وموافقة السنة.

وفي الليل قد تنكشف للإنسان أشياء يغطيها صخب النهار؛ يتذكر تقصيره، ويستحضر- نعمه، ويعيد النظر في أعماله، ثم يرفع يديه إلى ربه، يسأله الثبات والمغفرة والهداية. وقد لا يشعر بانفعال ظاهر، ومع ذلك يكون قلبه مقبلًا على الله بالطاعة والافتقار.

وهكذا يصبح قيام الليل زادًا يعين العبد على إصلاح يومه؛ لا لأنه يَعد بزوال الأحزان، بل لأنه يعلمه أن يحملها إلى ربه بالدعاء، وأن يواجهها بالصبر والرجاء، وأن يعود بعد كل اضطراب إلى مصدر هدايته وقوته: عبادة الله، وحسن التوكل عليه، وصدق اللجوء إليه.

١ السجدة: ١٦.

تطبيق عملي للتركية

 خلوة أسبوعية للعبادة والمراجعة: خصص وقتًا هادئًا في إحدى ليالي الأسبوع تخفف فيه عن نفسك ضجيج الحياة؛ فأبعد هاتفك، وتوضأ بهدوء، وصلِّ ما تيسر لك من قيام الليل، ثم اجلس دقائق تتأمل قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^١، واسأل نفسك: ما الذي يعينني على الإيمان والتقوى؟ وأي طاعة أحتاج إلى تجديدها؟ ثم ارفع يديك إلى الله بالدعاء، واسأله الإخلاص والثبات وحسن العمل. واجعل هذه الخلوة وسيلةً لمحاسبة النفس وتجديد النية؛ حتى لا تتحول العبادة إلى عادةٍ تؤدَّى بلا حضور، بل تبقى طاعةً صادقةً يظهر أثرها في القلب والعمل.

١ سورة يونس: ٦٤

رحلة العودة الأبدية

حياة المؤمن رحلة إيمانية تمضي- به من هذه الدنيا إلى الآخرة؛ تبدأ منذ ولادته، ثم تتعاقب فيها الأيام والمراحل، حتى ينتهي به الأجل إلى لقاء الله سبحانه وتعالى؛ وبين البداية والنهاية، تتقلب به الأحوال بين نعمة وابتلاء، وفرح وحزن، وسعة وضيق؛ وفي كل ذلك يجد مجالاً للصبر والشكر والرجاء، ويتهيا بالطاعة لما بعد هذه الحياة.

 **ولأنك الله** يدرك العبد أن الدنيا ليست دار استقرار، وإنما دار عمل وابتلاء، وأن العمر مهما طال فهو ماضٍ إلى نهايته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ سورة البقرة: ١٥٦؛ وهي كلمة يقولها المؤمن عند نزول المصيبة، مستحضراً أن نفسه وماله وحياته كلها ملك لله، وأن المصير إليه سبحانه؛ ومع مرور الأيام، يتذكر أن أعظم ما يحفظ قيمة العمر هو أن يُستثمر في الإيمان والعمل الصالح، لا أن يضيع في الغفلة والتعلق بما يفنى.

والابتلاءات ليست كلها عقوبات، كما أن النعم ليست دائماً علامة رضا؛ وإنما هي من أقدار الله التي يمتحن بها عباده، ويكون الخير في كيفية استقبالها والتعامل معها؛ فإذا نزل البلاء، صبر العبد واحتسب، وإذا جاءت النعمة، شكر وحفظ حدود الله فيها، وإذا أذنب، بادر إلى التوبة، وإذا أقبلت عليه الدنيا، لم يسمح لها أن تستولي على قلبه.

ولأنك الله يتعلم العبد أن الفناء ليس نهاية الوجود، بل نهاية مرحلة من مراحل الحياة، وأن وراء هذه الدنيا دارًا باقية؛ ولهذا لا يعيش المؤمن هاربًا من الدنيا، ولا غافلًا عن الآخرة؛ بل يعمل في دنياه بما ينفعه، ويجعل الآخرة وجهته الكبرى؛ وكل يوم يمضي يذكره بقصر العمر، ويدعوه إلى أن يكون ما بقي منه أصدق في العبادة، وأحسن في الخلق، وأعظم نفعًا للناس. وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل رواه البخاري؛ وليس معنى ذلك أن يترك العبد مسؤولياته أو يعزل نفسه عن الحياة، وإنما أن يعرف قدر الدنيا، فلا يجعلها غايته، ولا يربط سعادته بما فيها من متاع زائل؛ يكون فيها بجسده وعمله، وقلبه متعلق بما عند الله، مستعدًا للرحيل متى جاء الأجل.

ومع هذا الفهم، تصبح الحياة فرصة للتزكية؛ فالصبر يهذب النفس، والشكر يحفظ النعمة، والتوبة تجدد الطريق، والرجاء يمنع اليأس، والخوف من الله يحجز عن المعصية؛ وكل تجربة يمر بها الإنسان يمكن أن تكون بابًا للمراجعة والإصلاح، إذا استقبلها بالإيمان، ولم يجعل الألم ذريعة للقنوط، ولا النعمة سببًا للغفلة.

ولأنك الله أسألك أن تجعل أيامي زادًا إلى ما تحب، وأن تعينني على حسن اغتنام عمري قبل انقضائه؛ اللهم ارزقني قلبًا لا تغلبه الدنيا، وعملاً صالحًا ألقاك به، وتوبة صادقة كلما زلت، وصبرًا عند البلاء، وشكرًا عند النعم؛ وإذا جاء أجلي، فاختم لي بالإيمان، واغفر لي تقصيري، وارحمني برحمتك،

واجعل مصيري إلى دار كرامتك ورضوانك، حيث الحياة الباقية التي لا تنقطع.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

 **استحضار حقيقة الدنيا:** ليجعل العبد في يومه وقفة قصيرة يتذكر فيها أن الدنيا دار عمل وابتلاء، وأن العمر يمضي سريعًا نحو الآخرة؛ فإذا نزل به ضعف أو أحاطت به الفتن، تذكر أن ما يمر به فرصة للصبر والتوبة ومراجعة النفس، وأن الموت نهاية الحياة الدنيا وبداية الانتقال إلى الدار الآخرة.

 **تحويل هذا الوعي إلى عمل:** لا يكفي أن يعرف الإنسان قصر الدنيا، بل يحسن أن يترجم هذا الوعي إلى عبادة وسلوك؛ فيكثر من الذكر والدعاء والاستغفار، ويحافظ على الصلاة، ويجتهد في العمل الصالح، ويجعل كل يوم فرصة لإصلاح ما فسد من قلبه وعمله؛ فالذكر من أعظم ما يحيي القلب، والاستغفار باب عظيم إلى التوبة ومغفرة الذنوب.

 **مراجعة النفس كل مساء:** قبل النوم، يسأل العبد نفسه: ماذا قدمت لآخرتي اليوم؟ وما الذنب الذي أحتاج إلى التوبة منه؟ وما الخير الذي أستطيع أن أزيده غدًا؟ ثم يستغفر الله، ويحمده على ما وفق إليه، ويعقد العزم على إصلاح ما قصر فيه.

الذكر وترتيب الأحوال

حين يذكر العبد ربه في سكون الليل أو وسط ضجيج النهار، قد يجد في قلبه سكينَةً تخفف عنه وحشة الطريق، ويستحضر أن هذا الكون كله ملك لله، وأن مخلوقاته لا تخرج عن طاعته وتقديره؛ وحين يتأمل في السماء والأرض، وفي حركة الليل والنهار، وفي اختلاف المخلوقات، يتذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^١؛ فيدرك أن التسبيح ليس خاصًا بالإنسان، وأن وراء هذا الكون الواسع آياتٍ تدل على عظمة خالقه وحكمته.

 **ولأنك الله** يعلم العبد أن الذكر ليس مجرد كلمات يجري بها اللسان، بل عبادةٌ إذا اجتمع معها حضور القلب أثمرت خشوعًا وإنابةً وطمأنينةً؛ وكلما أكثر من ذكرك، انتبه من غفلته، واستعاد صلته بالطاعة، ورأى أحداث الحياة بميزانٍ أكثر اتزانًا؛ فيقابل الشدة بالصبر، والنعمة بالشكر، والخطأ بالتوبة، والخوف بالرجاء.

والذكر لا يلغي أسباب الحياة ولا يغيّر الواقع بمجرد المشاعر، لكنه يصلح القلب الذي يواجه الواقع؛ فيمنحه قدرةً أكبر على الثبات، ويذكره بأن تدبير الأمور لله، وأن على العبد أن يسعى

١ الإسراء: ٤٤

فيما ينفعه، ويستعين بالله، ثم يرضى بما قدره الله بعد بذل وسعه.

وقد بين النبي ﷺ أثر الذكر في حياة القلب فقال: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت رواه البخاري؛ فالغفلة ليست مجرد صمت اللسان، بل غياب القلب عن ذكر الله وطاعته؛ أما الذكر فيوقظ القلب، ويعيد إليه معاني العبودية، ويمنح الحياة وجهتها الصحيحة.

🌱 ولأنك الله فاجعلي من الذاكرين لك بقلوب حاضرة وألسنة صادقة، ولا تجعل ذكري عادةً بلا أثر؛ علّمني أن أذكرك في الرخاء فأشكرك، وفي الشدة فأرجوك، وعند الخطأ فأستغفرك؛ واجعل ذكرك سببًا لصلاح قلبي، وضبط نيتي، وحسن عملي، وثباتي أمام فتن الحياة.

اللهم اجعل ذكرك حياةً لقلبي، ونورًا في طريقي، ووعودًا لي على طاعتك؛ وإذا ازدحمت هموم الدنيا في نفسي، فردني إلى ذكرك، وإذا غلبتني الغفلة، فأيقظ قلبي، وإذا ضاقت بي الأسباب، فافتح لي باب الرجاء بك؛ واجعلي ممن يذكرونك في السر والعلن، ويظهر أثر ذكرك في أخلاقهم وأعمالهم، حتى تكون حياتهم أصدق عبوديةً، وأحسن عملًا، وأقرب إلى ما تحب وترضى.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 اجعل للذكر وقتًا ثابتًا كل يوم، ولو دقائق معدودة، تؤديه فيها بلسانٍ حاضر وقلبٍ متدبر؛ فالمقصود ليس كثرة التردد وحدها، بل أن يوقظ الذكر القلب من الغفلة، ويعينه على

تصحيح النية واستقامة العمل، ويمنحه السكينة والثبات في مواجهة أعباء الحياة.

 اختر ذكرًا مشروعًا تداوم عليه، كالتسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار، واجعل له وقتًا محددًا صباحًا أو مساءً، مع استحضار معناه قدر الاستطاعة؛ ثم حاول أن تجعل الذكر ممتد الأثر في يومك؛ فتذكر الله عند النعمة فتشكره، وعند الخطأ فتستغفره، وعند الشدة فتستعين به، وعند التردد فتسأله الهداية.

 اجعل لنفسك لحظات قصيرة تسأل فيها: ماذا غير الذكر في قلبي وعملي اليوم؟ فبهذا ينتقل الذكر من تكرارٍ على اللسان إلى عبادةٍ تُثمر خشوعًا، وشكرًا، وصبرًا، وحسن توكّل، وتعيد القلب إلى الله كلما شغلته الدنيا.

في مدرسة الحكمة البليغة

لأنك الله، يتعلم العبد أن أحداث الحياة ليست مجرد وقائع متتابعة، بل مواطن للعبرة والتفكير؛ ففي كل موقف مجال لمراجعة النفس، وفي كل تجربة فرصة للتعلم والصبر والشكر والإنابة؛ وليس معنى ذلك أن العبد يحيط بحكمة الله في كل ما يقع، وإنما يؤمن بأن الله حكيم في قضائه وتدييره، وأن ما خفيت حكمته عنه لا يخرج عن علم الله وحكمته. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣؛ فالتفكير النافع لا يقف عند ظاهر الأحداث، بل يدفع القلب إلى الاعتبار، ويعلم الإنسان أن يسأل نفسه: ماذا ينبغي أن أتعلم من هذا الموقف؟ وكيف أستجيب له بما يرضي الله؟

ولأنك الله فإن العبد حين يتأمل في تقلبات حياته، يرى أن الفرح والحزن، واليسر والعسر، والصحة والمرض، والفقد والعطاء، كلها أحوال متغيرة؛ فيتعلم ألا يغتر بنعمة، ولا ييأس عند شدة، وأن يجعل في كل حال نصيبه من العبودية؛ فإذا نزل به البلاء، لجأ إلى الصبر والدعاء، وإذا أقبلت عليه النعمة، قابلها بالشكر والخوف من التقصير.

قال تعالى: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^١؛ فالله سبحانه هو المدبر لأمر خلقه، المحيط بعلم الغيب والشهادة، ولا يلزم العبد أن يعرف

١ السجدة: ٥-٦

تفاصيل حكمته في كل تقدير؛ يكفيه أن يثق بربه، وأن يستجيب لما شرعه، وأن يتعلم من تجاربه ما يصلح به قلبه وعمله.

 ولأنك الله فإن التفكير في خلقك وتديرك يوقظ القلب من الغفلة، ويمنحه بصيرةً أعمق في التعامل مع الحياة؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١.

وهكذا تصبح الحياة ميدانًا للتزكية؛ يتعلم فيها العبد الصبر عند الشدة، والشكر عند النعمة، والتواضع عند النجاح، والرجوع إلى الله عند الخطأ؛ وقد لا يعرف الحكمة من بعض ما أصابه، لكنه يعرف واجبه تجاهه؛ فيثبت على الطاعة، ويحسن الظن بربه، ويأخذ بالأسباب، ويترك ما وراء ذلك لعلم الله وتقديره.

ومع مرور الأيام، يدرك أن النضج الإيماني ليس في معرفة أسرار الغيب، بل في حسن العبودية لله في كل حال؛ فإذا مرّ به حزن، لم يضيّعه اليأس، وإذا أصابه فرح، لم تأخذه الغفلة، وإذا التبست عليه الأمور، عاد إلى ربه مستعينًا به، طالبًا منه الهداية والرشد؛ وهكذا تتحول التجارب إلى مواطن للتعلم،

١ آل عمران: ١٩١

ويصبح التفكير طريقًا إلى قلبٍ أكثر صبرًا، ونفسٍ أكثر تواضعًا،
وعملٍ أصدق في طلب مرضاة الله.

🌱 تطبيق عملي للتزكية:

خصص كل يوم دقائق قليلة للتأمل في موقف مررت به، فرحًا
كان أو حزنًا، واسأل نفسك: ماذا تعلمت منه؟ وكيف يمكن أن
يكون سببًا في إصلاح قلبي وعملي؟ دوّن خلاصة ما أدركته، وما
الخطوة التي تستطيع القيام بها بعده؛ لتتحول تجاربك اليومية
إلى فرص للمراجعة والتزكية، ويصبح التفكير وسيلةً تعينك على
الصبر والشكر وحسن التوجه إلى الله.

لغة السكينة الهادئة

حين ينزل الله السكينة في قلب المؤمن، قد يهدأ اضطرابه، وتستقيم نظرته إلى ما حوله؛ لا لأن العالم تغير من حوله، بل لأن قلبه وجد في الإيمان والذكر والتوكل ما يعينه على مواجهة ما لم يتغير؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١؛ فالسكينة هبة من الله، يظهر أثرها في ثبات القلب، وحسن الظن بالله، والقدرة على احتمال الشدائد دون أن يطغى الخوف أو اليأس.

 **ولأنك الله** يتعلم العبد أن الطمأنينة ليست دائماً في زوال أسباب القلق، فقد تبقى الشدة ويثبت القلب، وقد يبقى السؤال ولا يضطرب اليقين؛ وفي هذا المعنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة؛ أي في لذة الإيمان والعبادة والأنس بالطاعة ما يخفف عن القلب أعباء الدنيا.

 **ولأنك الله** حين يشتد الكرب، يجد العبد في الذكر والدعاء ملجأً يرد القلب إلى معاني التوحيد والافتقار؛ وقد قصّ النبي ﷺ خبر المرأة التي آمنت بربها وثبتت على توحيدها حين أراد فرعون تعذيبها وأولادها، فكان ثباتها مثلاً على أن الإيمان قد يمنح صاحبه قوةً على احتمال ما تعجز النفس عن تصويره؛

١ الفتح: ٤

فليست السكينة غياب الألم، وإنما الثبات على الحق مع وجود الألم.

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١؛ والذكر ليس مجرد ألفاظ تجري على اللسان، بل عبادة يستحضر معها القلب عظمة الله ورحمته، فيستعين به عند الخوف، ويشكره عند النعمة، ويستغفره عند التقصير؛ وكلما رسخ الذكر في حياة العبد، أعانه على استقبال تقلبات الدنيا بقلب أكثر اتزاناً وأشد رجاءً.

فاجعل يا رب قلبي من القلوب التي تسكن إلى ذكرك، وتستمد ثباتها من الإيمان بك؛ لا تجعلني أطلب الطمأنينة في زوال كل مخاوفي، بل ارزقني من اليقين ما يعينني على احتمالها، ومن الصبر ما يثبتني عند الشدة، ومن حسن الظن بك ما يمنعني من اليأس؛ وإذا غاب عني وجه الحكمة، فاجعلي أثق بعلمك وحكمتك، وأقوم بما أقدر عليه من الطاعة والعمل، وأفوض ما لا أعلمه إليك.

تطبيق عملي للتركية:

عند شعورك بالقلق أو تشتت القلب، توقف دقائق، وخفف انشغالك، ثم أكثر من الذكر والدعاء بحضور قلب، وقل دعاء الكرب المأثور؛ وبعد ذلك اسأل نفسك: ما الذي أستطيع فعله الآن؟ وما الذي ينبغي أن أفوضه إلى الله؟ ثم خذ بالسبب المتاح، واترك ما وراء قدرتك لربك؛ فبهذا يتحول الذكر من

مجرد تهدئة مؤقتة إلى عبادة تعينك على الصبر، وحسن
التوكل، واستقامة القلب.

لذة القرب الأبدي

عندما يقترب العبد من ربه بالطاعة والذكر والدعاء، يجد في قلبه سكينَةً تفوق كثيرًا من ملذات الدنيا؛ تهدأ خواطره، وتخف وطأة الهموم، وتبدو له الدنيا على حقيقتها: دارًا عابرة، لا ينبغي أن تستولي على القلب أو تصرفه عن غايته الكبرى؛ وحين تضيق به نفسه، يتذكر قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^١؛ فيفر إلى الله بالتوبة والطاعة، ويلجأ إليه بالدعاء والاستعانة، ويطلب منه الهداية والثبات.

 ولأنك الله يعلم العبد أن أعظم ما يملأ القلب طمأنينَةً هو صدق الصلة بك؛ لا بمعنى أن العبد يحل في قرب ذاتك أو يدرك بحسه، وإنما بما تفيضه عليه من آثار الإيمان، ورحمة الهداية، وحسن التوفيق؛ فكلما ازداد ذكره لك، انتبه قلبه بعد الغفلة، واستقام نظره إلى الحياة، وصار أقدر على مواجهة ما يلقيه من خوف أو حزن أو اضطراب.

وقد قال النبي ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم؟ ذكر الله تعالى^٢؛ فالذكر عبادة عظيمة، وليس مجرد ألفاظ تتردد على اللسان؛ إذ يثمر في القلب تعظيمًا لله، ومراقبةً له، ورجوعًا إليه، ويعين العبد على الصبر والشكر والاستقامة؛ وكلما اقترن الذكر بحضور القلب

١ الذاريات: ٥٠

٢ رواه الترمذي

والعمل الصالح، ظهر أثره في السلوك والخلق، لا في المشاعر وحدها.

🌱 ولأنك الله يتعلم العبد أن القرب منك ليس حالة وجدانية عابرة يزعمها لنفسه، بل منزلة تُطلب بالإيمان والطاعة والمحبة والإنابة؛ وقد يمر الإنسان بأوقات يشعر فيها براحة عميقة، وأوقات أخرى يثقل فيها قلبه؛ وليس تغَيّر الشعور دليلاً بذاته على رضا الله أو سخطه، وإنما الميزان هو صدق العبودية، والثبات على الحق، وحسن الظن بالله، مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

وحين تتزاحم ضغوط الحياة، لا يحتاج العبد إلى الهروب من واقعه، بل إلى أن يعود إلى ربه وهو يعيش واقعه؛ يذكره في صباحه ومساءله، ويستعين به عند الشدة، ويحمده عند النعمة، ويستغفره عند الخطأ، ثم يمضي— في عمله وقضاء حوائجه بقلب مستعين بالله، غير متكل على نفسه وحدها؛ وهكذا يصبح الذكر معيناً على إصلاح الحياة، لا انفصلاً عنها.

❖ تطبيق عملي للتركية:

يخصص العبد دقائق في بداية يومه للذكر، ويستحضر معانيها بدل أن يجعلها ألفاظاً مجردة؛ ثم يجدد نيته في أثناء يومه، فإذا نزل به هم أو تشئت، عاد إلى الله بالذكر والدعاء والعمل الصالح؛ وبذلك يتحول الذكر من عادة على اللسان إلى عبادة تؤثر في القلب، وتهذب السلوك، وتعين على السير إلى الله بثبات وافتقار.

رحلة الشوق الدائم

منذ أن يعرف العبد ربّه بما جاء به الوحي، تبدأ في قلبه رحلة محبةٍ ورجاء، تتجدد مع الإيمان والطاعة، ويزداد فيها شوقه إلى رحمة الله وعفوه ورضوانه ولقائه؛ وكلما ازداد علمه بأسماء الله وصفاته، ازداد تعظيمه له، واستشعر فقره إلى رحمته ولطفه وهدايته؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^١؛ فمحبة الله ليست عاطفةً عابرة، بل عبادةٌ تظهر آثارها في القلب والسلوك، وتحمل العبد على الطاعة، واجتناب المعصية، وحسن الرجاء.

 ولأنك الله يتعلم العبد أن صدق المحبة يظهر في اتباع أمرك، وأداء فرائضك، والاجتهاد في مرضاتك؛ قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه رواه البخاري؛ فالمحبة الصادقة ليست دعوى، وإنما يصدقها العمل، ويزكيها الإخلاص، ويقويها دوام التوبة والذكر.

وقد يمر الإنسان وسط مشاغل الدنيا بلحظات يشعر فيها بثقل الغفلة، فيعود إلى ربه بالدعاء والاستغفار والذكر؛ لا لأن الله يغيب عنه ثم يحضر، حاشاه سبحانه، ولكن لأن العبد هو الذي يغفل ويحتاج إلى تجديد عهده بالطاعة؛ وكلما عاد إلى الذكر، وجد في قلبه من السكينة والطمأنينة ما يعينه على

١ سورة البقرة: ١٦٥

مواصلة الطريق، دون أن يجعل مشاعره دليلاً قاطعاً على رضا الله عنه، بل يستبشر برحمته ويظل مفتقراً إلى فضله.

 ولأنك الله يرجو المؤمن لقاءك ورؤية وجهك الكريم في الجنة، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^١؛ فيكون هذا الرجاء باعثاً على الاستقامة، لا هروباً من الدنيا، بل اغتناماً لأيامها فيما يرضيك؛ فكل طاعة، وكل توبة، وكل عمل صالح، يمكن أن يكون خطوةً في طريق النجاة، ما دام قائماً على الإيمان والإخلاص وموافقة الشرع.

وحين يتأمل العبد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^٢، يتذكر إحاطة علم الله به، وعظيم قدرته عليه، فيزداد حياءً وافتقاراً ورجاءً؛ فالله سبحانه ليس كمثله شيء، وقربه المذكور في الآية لا يعني حلولاً أو اتحاداً، وإنما هو قربٌ يليق بجلاله، مع إحاطة علمه وقدرته بعباده.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

يبدأ العبد يومه بتأمل اسمٍ من أسماء الله الحسنى، متفكراً في معناه وأثره في عبادته وسلوكه، ثم يدعو بما شاء؛ ويجدد خلال يومه ذكر الله واستغفاره، ويجعل عمله ودراسته ومعاملاته أبواباً للإخلاص والإحسان؛ وهكذا تتحول المحبة

١ سورة الغاشية

٢ سورة ق: ١٦

من شعورٍ عابرٍ إلى عبوديةٍ مستمرة، ويصبح الشوق إلى الله
دافعًا إلى العمل الصالح، وحسن الرجاء، والثبات على الطريق.

مدرسة الرضا العميق

لأنك الله كلما مرّ الإنسان بأحداثٍ وأقدارٍ لم يفهم حكمتها، ثم كشفت له الأيام عن وجهٍ من وجوه الحكمة، عاد قلبه إلى أصلٍ عظيم: حسن الظن بالله، والتسليم لحكمه، والإيمان بأنه سبحانه أرحم بعبده وأحكم في تدبيره؛ وقد يتعلم المرء، حين تثقل عليه الظروف، أن الرضا ليس استسلامًا باردًا للألم، ولا إنكارًا لمشاعر الحزن، وإنما هو سكون القلب إلى قضاء الله، مع الصبر، والأخذ بالأسباب، والافتقار إليه.

وقد يكره الإنسان أمرًا، ثم يرى بعد زمن أن فيه من الخير ما لم يكن يراه أول الأمر؛ قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^١؛ وليس معنى ذلك أن كل ما يؤلم العبد ينكشف له وجه خيره في الدنيا، بل يكفيه أن يعلم أن الله حكيم لا يقدر شيئًا عبثًا، وأن ما خفي عنه من الحكمة لا يخرج عن علم الله ورحمته.

ولأنك الله يجد القلب في الإيمان بك ملجأً حين تضيق به السبل؛ لا لأنه يعلم تفاصيل الغيب، ولا لأن كل شعور يمر به دليلٌ قاطع على رضاك عنه، ولكن لأنه يعرفك بما عرفت به نفسك من الرحمة والحكمة واللطف، فيحسن الظن بك، ويرجو فضلك، ويستعين بك على ما نزل به.

١ سورة البقرة: ٢١٦

وهناك يتبين معنى الغنى الحقيقي؛ فليس الغنى بكثرة ما في اليد، وإنما قد يكون غنى القلب بالقناعة بما قسم الله، مع بقاء الطموح إلى الخير والسعي إليه؛ وقد قال النبي ﷺ: وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وهو حديث حسنه بعض أهل العلم؛ فيدرك العبد أن القناعة ليست ترك السعي، بل ألا يجعل ما فاته يملك قلبه، وألا يحوّل الحرمان إلى سخط، ولا التأخر إلى سوء ظن بربه.

وحين تنزل المصيبة، قد لا يملك الإنسان تفسيرها، لكنه يستطيع أن يملك موقفه منها: يصبر، ويدعو، ويأخذ بالأسباب، ويترك ما وراء ذلك لعلم الله وحكمته؛ ومع الأيام قد يجد في نفسه أثرًا من النضج، ورقة القلب، وصدق الاقتدار، وقوة الصلة بالله؛ دون أن يجزم بأن تلك الحكمة هي بعينها مراد الله من بلائه.

وقد قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^١؛ فيتطلع القلب إلى مقام الرضا بالله، ويستبشر بوعدِهِ، ويسأله الثبات وحسن العاقبة.

اللهم ارزقني قلبًا يثق بحكمتك، ويصبر على قضائك، ويرجو رحمتك، ويسعى في الخير، ولا يجعل ما جهل حكمته سببًا لسوء الظن بك؛ واجعلني ممن إذا ضاقت به الدنيا عاد إليك،

وإذا أقبلت عليه النعمة حمدك، وإذا نزل به البلاء صبر، وفي كل حال وجد في الإيمان بك سكينَةً تعينه على الطريق.

 **ولأنك الله** يدرك الإنسان أن كل يوم فرصة لتهديب القلب، ونمو الإيمان، والتدرب على الرضا بقضائك، وحسن الظن بحكمتك ورحمتك؛ وكل ما يمر به قد يكون ميداناً للصبر والتوكل وتفويض الأمر إليك، دون أن يتكلف معرفة حكمة كل قدر.

ومع الأيام، يفهم أن السكينة ليست غياب الحزن، بل ثبات القلب بالله، واستمداد العون منه، والرجاء في فضله؛ وقد تخفى عنه الحكمة في بعض ما يقدر، لكنه يمضي— بقلبٍ أكثر صبراً وافتقاراً ورجاءً، مطمئناً إلى رب حكيم رحيم.

❖ تطبيق عملي للتركية:

 **في بداية اليوم:** يستفتح يومه بالدعاء: اللهم اجعلني من الراضين بقضائك، القانعين بما قسمت لي، الشاكرين لنعمك، المستعينين بك في شؤوني كلها ويستحضر فضل الله، ويحمده على ما أنعم به، ويرضى بما قسم له، مع استمرار السعي إلى ما ينفعه.

 **عند الصعوبات:** إذا نزل به ما يشق عليه، ذكر نفسه بأن الله أعلم بعواقب الأمور، وقال: اللهم أعني على الصبر، وارزقني الرضا بقضائك، وفوّضت أمري إليك.

 **عند القلق:** يلجأ إلى الله، ويأخذ بالأسباب، ولا يستعجل معرفة الحكمة من كل ابتلاء؛ بل يحسن الظن بربه، ويستمد من رحمته ما يعينه على الثبات.

حوار الضعف الصادق

ليس المقصود من المعرفة والذكر أن تبقى الروح في دائرة المشاعر الجميلة؛ فالإيمان حياة، والمحبة الصادقة تظهر آثارها في العمل، والذكر الذي يثمر في القلب ينعكس على الجوارح والأخلاق والاختيارات؛ ومن هنا تنتقل الرحلة من التأمل إلى العبادة، ومن الشعور إلى السلوك.

فالعبودية ليست قيدًا يضيق على الإنسان، بل هي المعنى الذي يتحرر به من عبودية ما سوى الله؛ أن يعرف العبد ربه، وبطبيعته فيما أمر، ويجتنب ما نهى عنه، ويستعين به، ويأخذ بالأسباب، ويكل أمره إليه فيما لا يملك دفعه أو تغييره.

في الصلاة يتعلم القلب الخضوع، وفي السجود يتعلم الافتقار، وفي التوكل يتعلم أن يعتمد على الله مع بذل الأسباب، وفي اليقين يتعلم ألا تجرفه تقلبات الأيام؛ وهكذا يصبح الطريق أكثر وضوحًا: محبة تقود إلى طاعة، وطاعة تزكي القلب، وقلبٌ يزداد تعلقًا بالله.

وحين تثقل الحياة على المسلم، وتتكاثر في قلبه آثار الذنوب، ويشعر بضعف لا يجد معه ملجأ إلا إليك، يعود إليك بكل ما فيه من عجز وافتقار؛

 ولأنك الله فأنت تعلم ضعفه، وتعلم ما تخفيه نفسه، ولا يخفى عليك شيء من أمره؛ وفي اللحظات التي تلتبس فيها الطرق، ويثقل على القلب ما اقترفه، يكون الرجوع إليك بدايةً

جديدة، فيرفع العبد يديه، ويقرّ بفقره، ويسألك العفو والهداية والرحمة.

وقد يتعلم أن غنى الدنيا، مهما اتسعت أسبابه، لا يغني القلب عن ربه؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ محمد: ٣٨؛ فالفقر إليك ليس ذلاً، بل حقيقة العبودية، والافتقار إليك ليس ضعفاً مذموماً، بل مقام يحتاج إليه كل عبد؛ إذ لا غنى له عن ربه طرفة عين؛ وحين يعرف الإنسان قدر ضعفه، يتعلم أن قوته الحقيقية في استعانته بالله، لا في اعتماده على نفسه وحدها.

 **ولأنك الله** فإن الاعتراف بالعجز قد يفتح للقلب باباً من أبواب التوبة، لا لأن الذنب خيرٌ في ذاته، ولكن لأن العبد إذا صدق في رجوعه، وأقلع عن خطيئته، وندم عليها، وجد في التوبة طريقاً إلى إصلاح ما أفسده؛ وكلما ضل القلب عن الطريق، بقي باب الرجوع مفتوحاً؛ فيعود إلى ربه مستغفراً، راجياً عفوه، سائلاً إياه أن يثبته على الهدى.

وقد علّمنا النبي ﷺ ألا نستعجل إجابة الدعاء، فقال: يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي؛ رواه البخاري ومسلم؛ وفي ذلك تربية للقلب على الصبر، وحسن الظن بالله، ومواصلة الدعاء، دون أن يجعل تأخر الإجابة دليلاً على الإهمال أو الحرمان؛ فالله أعلم بما يصلح لعبده، وقد تكون الإجابة بعين ما سأل، أو يصرف عنه بها سوءاً، أو يدخر له أجرها؛ والمؤمن يعبد الله بالدعاء والرجاء، ولا يحدد لربه كيف تكون الإجابة.

ولأنك الله يتعلم الإنسان أن الاعتماد عليك لا يعني ترك الأسباب، بل أن يأخذ بها وقلبه متعلق بك، ويطلب العون منك، ثم يرضى بما يقدره الله؛ فإذا ضاق صدره، لم يجعل شعوره وحده ميزانًا للحكم على ما ينتظره، بل لجأ إليك، واستمد من الإيمان ما يعينه على الثبات، واستحضر- سعة رحمتك، وحسن تديرك، وعظيم افتقار العبد إليك.

ثلاثة أعمال عملية للتركية:

استغفر: إذا أثقلت الذنوب أو زللت، فسارع إلى التوبة والاستغفار، ولا تجعل الخطأ سببًا لليأس من رحمة الله.

الرجاء: حين يشتد عليك الضعف أو تضيق بك الحياة، ارفع يديك إلى الله، وادعه، واعترف بفقرك إليه، واستعن به في أمرك كله.

اثبت: عند البلاء اصبر، وعند النعمة اشكر، واستمر في طاعة الله، وأحسن الظن به، ولا تكل نفسك إلى نفسك.

في صحبة الدعاء الخاشع

 **لأنك الله** حين يرفع الإنسان يديه إليك بالدعاء، يهدأ شيء في داخله، وتخف وطأة الهم عن قلبه؛ لا لأن الدعاء يغير حقيقة الواقع في لحظته، ولكن لأنه يردّ القلب إلى ربه، ويذكره بأن له ربًّا يسمع دعاءه، ويعلم ضعفه، ولا يخفى عليه شيء من أمره؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^١؛ فيدرك العبد أن الدعاء ليس كلمات تُقال فحسب، بل عبادة يظهر فيها فقره، وافتقاره، وحسن رجائه بالله.

 **ولأنك الله** ففي لحظات الدعاء تنكشف للعبد حقيقة نفسه؛ فيترك شيئاً من اعتماده على الأسباب، دون أن يتركها، ويعود بقلبه إلى مسببها؛ كل تنهيدة، وكل دمعة، وكل رجاء يرفعه إلى الله يعبر عن حاجة العبد إلى ربه، وعن يقينه بأنه لا غنى له عنه؛ وقد قال النبي ﷺ: **الدعاء هو العبادة**؛ رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وحين يطول انتظار الإجابة، يتعلم القلب ألا يجعل تأخر مطلوبه دليلاً على الحرمان؛ فقد قال ﷺ: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها؛ وهنا يصبح الدعاء

١ غافر: ٦٠

مدرسةً للصبر وحسن الظن، لا مجرد وسيلة للوصول إلى ما يريده الإنسان.

🌱 **ولأنك الله قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^١؛** فيطمئن القلب إلى قربك الذي يليق بجلالك، وإلى سعة علمك بعبادك، فيدعو دون تكلف، ويث حاحته دون يأس، ويستعين بك دون أن يقطع الأسباب.

وقد يجد الإنسان بعد الدعاء سكينه تعينه على مواجهة ما بقي من الطريق؛ لا لأنه صار يعلم الغيب، ولا لأن كل ما يتمناه قد تحقق، وإنما لأن قلبه تعلم أن يعلق رجاءه بالله، وأن يرضى بحكمته، وأن يمضي في حياته مستعينًا به.

اللهم اجعل دعائي عبادةً صادقة، وقلبي متعلقًا بك، ولساني عامرًا بذكرك، ولا تجعل تأخر الإجابة سببًا لليأس؛ ارزقني حسن الظن بك، والصبر على قضائك، والرضا بما تختاره لي، وأعني على الأخذ بالأسباب، ثم تفويض ما لا أملك إليك؛ واجعل كل دعاء أرفعه إليك سببًا لزيادة إيماني، وصلاح قلبي، وحسن صلتي بك، وارزقني من فضلك ما فيه الخير لي في ديني ودنياي وآخرتي.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 لكي أعيش هذه المعاني في حياتي، أبدأ يومي بآذكار خاشعة، وأقول: اللهم اجعلني من الذين يتوجهون إليك في كل لحظة، واغفر لي، واهدني إليك بقلبي وكل جوارحي.

🌱 في كل دعاء أرفعه، أضع قلبي بين يديك، وأدرك أن كل لحظة فرصة جديدة للاتصال بك؛ أسعى أن أعيش الدعاء بكل معانيه، وأن تصير حياتي ذكرًا وحضورًا مستمرًا بين يديك.

🌱 الدعاء ليس مجرد كلمات، بل لغة القلب مع الله؛ خصص وقتًا يوميًا للدعاء، وخصوصًا في لحظات السكون مثل السحر أو قبل النوم، وافتح قلبك لله كما لو كان أقرب إليك من حبل الوريد؛ تذكر أن الدعاء تعبير عن حاجتك، وأن رفع اليدين طالبًا العون والرحمة وسيلة للتقرب منه، مهما بلغت ذنوبك وتقصيرك، كما قال ﷺ: من لم يسأل الله يغضب الله عليه.

رحلة العبودية

 **لأنك الله** يتعلم الإنسان أن العبادة ليست عبئًا يثقل الروح، بل بابًا تهادأ عنده النفس، ويستقيم به القلب، ويجد فيه معنى العبودية لله؛ تتأمل العين آياتك في خلقك، ويتلو اللسان كتابك، وتنحني الجوارح في الصلاة، فيجد العبد في طاعتك سكينَةً لا تمنحه إياها مشاغل الدنيا؛ وكلما ازداد ذكره لك، ازداد شعوره بفقره إليك، وحاجته إلى هدايتك وتوفيقك.

 **ولأنك الله** القائل سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١؛ فيدرك العبد أن الطمأنينة ليست غيبًا للمشقة، وإنما ثمرة من ثمار الإيمان والذكر؛ فكل سجدة تذكّره بعبوديته، وكل تسبيحة تعيده إلى ربه، وكل آية يتدبرها تفتح له بابًا من الهداية والبصيرة.

والطاعة ليست حركات تؤدى بالجوارح فحسب، بل عبودية تجمع القلب والقول والعمل؛ وبقدر صدق العبد في طاعته، ومجاهدته لهواه، وإخلاصه لله، يزداد خير العبادة في نفسه وأثرها في حياته؛ وليس المطلوب أن يرى نفسه قد بلغ مقامًا خاصًا، وإنما أن يظل ساعيًا إلى الإصلاح، مستغفرًا من التقصير، راجيًا قبول الله، خائفًا من الرياء، طالبًا منه الثبات والإخلاص.

١ الرعد: ٢٨

 **ولأنك الله** فقد علّمنا نبينا محمد ﷺ أن العبادة صلة بين العبد وربّه، وأن الدعاء نفسه عبادة، فقال: الدعاء هو العبادة؛ وفي ذلك يتعلم القلب أن يصدق في دعائه، وأن يخضع لله دون رياء، وأن يجعل طاعته سبيلاً إلى إصلاح باطنه وظاهره. وحين يتأمل العبد وعد الله لعباده، يزداد رجاءه ويقوى عزمه على الاستقامة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^١؛ فليست العبودية لله قيداً يثقل الإنسان، بل نجاة من عبودية الهوى والشيطان، وتحرير للقلب من التعلق بما يبعده عن ربه.

اللهم ارزقني عبادةً صادقة، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وعملاً صالحاً خالصاً لوجهك؛ وأعني على مجاهدة نفسي، واحفظني من الرياء، وثبّتي على طاعتك، واجعل ذكرك سكينَةً لقلبي، وعبوديتك أحبّ ما ألقى به إليك، وارزقني حسن الثبات حتى ألقاك.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

 **أخلص**: يستفتح يومه بتجديد نيته لله، ويسأله أن يرزقه صدق العبودية والثبات على الطاعة، وأن يحفظ قلبه من الرياء والفتن.

 **تدبّر**: يجعل من صلاته وذكره وتلاوته وقفاتٍ لحضور القلب، ويخصص كل يوم وقتاً يتأمل فيه آيات القرآن،

فيتجاوز التلاوة إلى فهم المعنى واستحضار الهداية والعمل بها.

 احتسب: يستحضر- نية صالحة في تفاصيل يومه؛ في عمله، وإحسانه إلى أهله، ونفعه للناس، وسعيه في شؤونه المباحة، حتى تتحول عاداته المباحة إلى أبواب من الأجر، ويبقى قلبه متوجّهاً إلى الله في مختلف أحواله.

نعمة البصر الباطن

 **لأنك الله:** فلك الحمد والشكر على نعمة البصر؛ بها يرى الإنسان مخلوقاتك البديعة، ويتأمل اتساع الكون ودقة خلقك وعظيم تدبيرك؛

يرى الألوان والأشكال، ويتابع تعاقب الليل والنهار، فيدرك أن هذه العين، على عظيم نعمتها، لا تتجاوز ظاهر ما ترى؛ ومن هنا يتعلم أن وراء البصر نعمةً أخرى، هي البصيرة؛ وهي نور من الهداية والفهم، يعين القلب على الاعتبار بآيات الله، وتمييز الحق من الباطل، والنظر في عواقب الأمور.

فالبصر- يدرك الصور والمشاهد، أما البصيرة فتعين صاحبها على فهم المعاني والاعتبار بها؛ ولا تكشف الغيب، ولا تحيط بأسرار القلوب، فذلك مما استأثر الله بعلمه، وإنما تهدي الإنسان إلى ما يمكنه إدراكه من دلائل الحق، وتوقظه من الغفلة إلى التفكير.

 **ولأنك الله** قلت في كتابك الكريم موجهاً لمن آمن بقلبه وبصره: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^١؛ فيفهم أن العمى الحقيقي ليس فقدان البصر— وحده، وإنما أن يفقد القلب القدرة على الانتفاع بالحق بعد ظهوره؛ فقد يرى الإنسان الآيات بعينه، ثم لا يعتبر بها، بينما يفتح الله لقلب آخر أبواب الهداية فيزداد إيماناً وخشية.

١ الحج: ٤٦

 **ولأنك الله** اجعل نظري في خلقك بابًا للتفكر لا للغفلة؛ فإذا رأيت زهرةً أو شجرةً أو غيمًا يمر في السماء، تذكرت عظيم قدرتك، وتدبرت نعمك، وازددت شكرًا لك؛ وإذا تأملت تعاقب الليل والنهار، ودقة هذا الكون، استحضرت أن وراء هذه المشاهد خالقًا حكيمًا، وأن المخلوقات آيات تدل على عظمته وقدرته وتديبره.

وهكذا تصبح البصيرة زادًا للقلب في طريق العبودية؛ تعينه على ألا ينخدع بالمظاهر، وأن يزن الأمور بالحق، وأن يتفكر في عواقب أفعاله، ويطلب الهداية فيما يجهله؛ فليست قيمة الإنسان فيما تراه العين من مظهر، وإنما فيما يحمله قلبه من إيمان، وما يظهر في عمله من صلاح وتقوى.

اللهم ارزقني بصرًا يرى نعمك، وبصيرةً تهديني إلى الحق، وقلبًا يعتبر بآياتك، ولا تجعلني ممن يرون الحق ثم يغفلون عنه؛ اللهم علّمني أن أتفكر في خلقك دون أن أتجاوز حدود ما علمتني، وأن أزداد بكل نعمة شكرًا، وبكل آية إيمانًا، وبكل تأمل معرفةً بقدرتك وحكمتك، وثبت قلبي على طاعتك واهدني إلى صراطك المستقيم.

❁ تطبيق عملي للتزكية:

 **تأمل:** يتعلم أن ينظر إلى ما حوله بعين البصيرة؛ فلا يكتفي بظاهر الأشياء، بل يتفكر فيما تدل عليه من نعم الله وقدرته وحكمته، فيجعل كل مشهد فرصةً للاعتبار والشكر.

 **اعتبر:** حين يرى شجرةً، أو قطرة مطر، أو ابتسامةً، أو يمر بموقف شاق، يسأل نفسه: ما الذي يمكن أن أتعلمه؟ وما

النعمة التي تستحق الشكر؟ وما الخُلق الذي ينبغي أن أتحدى به؟ فيتحول نظره من مجرد المشاهدة إلى التفكير والعمل.

اشكر : يجعل ما يراه من آيات الله في خلقه باعثًا على زيادة الإيمان والشكر، مستحضرًا أن المخلوقات لا تحلّ فيها ذات الله، وإنما هي دلائل على عظمته وقدرته، فيزداد قلبه تعلقًا بالله وافتقارًا إليه.

سر القرب من الله

 **لأنك الله** يدرك الإنسان مع الأيام أن الطاعة تترك في القلب أثرًا يتجاوز ظاهر العمل؛ فالصلاة والذكر والعمل الصالح قد تكون أسبابًا للسكينة، وتعين القلب على تجاوز الغفلة والاضطراب، وترده كلما شغلته الدنيا إلى معنى العبودية والافتقار إلى الله؛ وليس المقصود أن تزول الهموم بالطاعة، وإنما أن يجد العبد فيها ما يقويه على الصبر، ويعينه على حسن الرجاء والثبات.

ويتعلم أن الذكر ليس ترديدًا باللسان فحسب، بل عبادة يحضر فيها القلب، ويستحضر معها عظمة الله وفضله؛ وكلما أكثر العبد من ذكر ربه، وتدبر معانيه، ظهرت آثار ذلك في قلبه وسلوكه؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^١؛ فالذكر يوقظ القلب من الغفلة، ويعينه على الاستقامة، ويمنحه من السكينة بقدر ما يفتح الله له من أبواب الهداية.

 **ولأنك الله** يتعلم العبد أن القرب من الله ليس قرب مسافة أو مكان، وإنما هو ما يناله من محبته ورضاه وثوابه وهدايته، وأن من أعظم أسباب ذلك صدق الإيمان، وكثرة الطاعة، وإخلاص العبادة؛ وقد قال النبي ﷺ: إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا؛ فيظهر

١ الأحزاب: ٤١

أثر الإيمان في أخلاق صاحبه، فيكون أصدق، وأرحم، وأحلم، وأحسن معاملة للناس.

وهكذا لا تبقى العبادة محصورة في لحظات الصلاة والذكر، بل تمتد آثارها إلى الحياة كلها؛ في بر الوالدين، وصلة الرحم، وإغاثة المحتاج، وكف الأذى، وحسن القول، وإتقان العمل؛ فصلاح العلاقة بالله ينبغي أن يثمر صلاحًا في علاقة العبد بخلقه.

 ولأنك الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١؛ فيدرك العبد أن الطريق يحتاج إلى مجاهدة وصبر، وأن الهداية فضل من الله، وأن عليه أن يسعى ويستعين بربه، ولا يعجب بعمله ولا يزيكي نفسه. وقال رسول الله ﷺ: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس؛ فيفهم أن الخير الذي يفعله ابتغاء وجه الله ليس منفصلاً عن عبادته؛ فكل إحسان إلى الناس، وكل تفريج لكربة، وكل كلمة طيبة، يمكن أن تكون قرينة إذا صحت النية ووافق العمل الشرع.

يا الله، اجعل عبادتي صادقة، وذكرى حيًا، وقلبي خاشعًا، وأخلاقى حسنة؛ أعني على مجاهدة نفسي، واهدني إلى ما تحب وترضى، واجعل إيماني ظاهرًا في عملي، ورجائي فيك باعثًا على الطاعة والإحسان؛ ولا تجعلني أطلب من العبادة شعورًا عابرًا،

١ العنكبوت: ٦٩

بل ارزقني ثباتًا يثمر صلاحًا، وقلبًا يعود إليك كلما زلّ، حتى ألقاك وأنت راضٍ عني.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 ابدأ يومك بنية صادقة لله، واجعلها حاضرة في عبادتك وأعمالك وتعاملاتك.

🌱 خصص وقتًا يوميًا لتلاوة القرآن وتدبر آياته والعمل بمعانيها.

🌱 حافظ على الصلوات بخشوع، واجتهد في النوافل وقيام الليل بحسب استطاعتك.

🌱 انفع الآخرين بالكلمة الطيبة والمساعدة وقضاء الحوائج والدعاء لهم.

🌱 اختتم يومك بمراجعة نياتك وأعمالك، واستغفر عن التقصير وصحح مسارك.

🌱 كلما طهرت قلبك، ازدادت آثار الإيمان والنور في حياتك، وازددت قربًا من الله بالطاعة والمحبة والإخلاص، راجيًا أن يجعلك الله من عباده المقربين في الدنيا والآخرة.

نعمة الوقت الثمين

لأنك الله، الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وأنت الذي تُجري الزمان والمكان بقدرتك وحكمتك، وتدبر أمر الكون كله بعلمك وتقديرك.

الوقت، يا رب، هو من أعظم ما أملك في هذه الحياة؛ لحظات تمر كالسحاب، ولا أستطيع أن أستعيدها، وأيام تنقضي- وكأنها لم تكن، وأعمار تمضي- وكأنها لم تبدأ؛ كم من لحظة ضاعت وأنا غافل، وكم من يوم مرّ دون أن أدرك قيمته، وكم من فرصة فاتت ولم أحسن اغتنامها، فكنت كمن يسير في الظلام دون أن يلتفت إلى النور الذي يدعوه إلى الطريق.

يا من لا تأخذه سنة ولا نوم، جعلت الليل والنهار خُلُقَةً لمن أراد أن يذكّر، كما قلت في كتابك الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَنۡ يَذَّكَّرَ﴾^١.

فأدركت أن كل لحظة تمر يمكن أن تكون فرصة للذكر، وللتوبة، والعمل الصالح، وإصلاح القلب؛ وأن العمر ليس مجرد ساعات تتعاقب، وإنما هو رأس مال الإنسان الذي ينقضي جزء منه مع كل نفس؛ وكل لحظة أستثمرها في طاعتك هي بذرة خير، ونور يضيء لي الطريق، وأثر يبقى لي حين تنقضي الأيام.

 ولأنك الله

أدركت يا رب أن الوقت الذي أهمله هو ثروة لا تُعوّض، وأن الصحة والقدرة والفراغ نعم من فضلك، وهبتي إياها لأستعين بها على طاعتك وعمارة حياتي بالخير؛ كم من أوقات مضت كان يمكن أن أستثمرها فيما ينفعني، وكم من لحظات كان يمكن أن أعيشها بالقرب منك، لكنني تركتها تمضي—دون أن أدرك قيمتها.

فكل ثانية تنقضي من عمري لا تعود، وكل دقيقة أستثمرها فيما يرضيك هي جزء من حياة أعيشها بمعنى أعمق، وأمل أرجو أن أجد أثره عندك.

وعندما أتذكر قول رسولنا الكريم ﷺ: **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ** فأدرك أن الغبن الحقيقي ليس أن أفقد شيئاً من متاع الدنيا، وإنما أن تمر بي نعمة الصحة والفراغ والعمر دون أن أحسن استثمارها، وأن العمل الصالح من أعظم ما يمكن أن أملأ به هذا الزمن الثمين، وأن كل ساعة تمر هي فرصة جديدة لأقترب منك، وأصلح نفسي—وأنفع عبادك.

وعندما أراجع ما مضى—من عمري، أرى كيف بدت سنواته قصيرة، وكأنها لحظات مرت سريعاً، وأتذكر أوقاتاً كثيرة عشتها في الغفلة والانشغال بما لا ينفع؛ فأدرك أن قيمة الحياة ليست في عدد السنوات التي يعيشها الإنسان، وإنما فيما يملؤها به من إيمان وعمل صالح وأثر طيب.

فالوقت، يا رب، ميدان العمل، والحياة فرصة للعبادة والإحسان، والموت نهاية مرحلة العمل، والآخرة هي دار القرار؛

وهذا يقودني إلى إدراك السباق الحقيقي الذي ينبغي أن أخوضه: السباق إلى طاعتك، وإلى الخير، وإلى ما ينفعني حين ألقاك. وكما قلت في كتابك الكريم: ﴿وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^١؛ فأدرك أن الطريق إليك لا ينتهي ما دمت حيًّا، وأن عليَّ أن أستمّر في عبادتك والعمل الصالح حتى تنتهي هذه الرحلة بوعد لقائك.

 ولأنك الله أصبحت كل دقيقة تمر تذكري بحقيقة العمر؛ أنها فرصة للذكر، وفرصة لتطهير القلب، وفرصة للاستزادة من العمل الصالح؛ وكل ثانية هي جزء من رأس مالي الذي ينقص مع مرور الوقت، وكل لحظة يمكن أن أزرع فيها خيرًا، أو أصلح فيها خطأً، أو أقول فيها كلمة طيبة، أو أمد فيها يد العون إلى محتاج.

فأشعر أن الحياة ليست مجرد مرور للأيام، وإنما هي مسعى مستمر إلى رضاك، وسعي في تزكية النفس، وإحسان العمل، ونفع من حولي.

وأذكر ما ورد في الحديث: اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

فأدركت أن العمر الذي منحني الله إياه هو رأس مالي الحقيقي، وأن كل دقيقة تمر هي فرصة لا ينبغي أن أستهين بها؛ وكل

لحظة يمكن أن تكون بداية لتجديد النية، أو التوبة من تقصير، أو الإقبال على طاعة، أو فعل خير.

ولست أريد أن أملأ وقتي بما يبعد قلبي عن الله أو يستنزف عمري فيما لا ينفع، بل أريد أن أعلم كيف أوازن بين واجباتي وراحتي، وبين عملي وعبادتي، وأن أجعل في يومي نصيبًا ثابتًا من الذكر والقرآن والعمل الصالح، وأن أستثمر عمري فيما ينفعني في ديني ودنياي.

تطبيق عملي للتركيز

🌱 اغتنم وقت الفراغ

استثمر أوقات فراغك فيما ينفعك؛ بقراءة القرآن، وذكر الله، والعلم النافع، والعمل الصالح، وخدمة من يحتاج إليك، ولا تستهن بالدقائق القليلة.

🌱 نظم وقتك

رتّب يومك بين العبادة والعمل والأسرة والراحة، وحافظ على الصلاة، واجعل للقرآن والذكر نصيبًا ثابتًا، وحدد أولوياتك حتى لا يمضي يومك بلا ثمرة.

🌱 اجعل أحداث يومك أبوابًا للذكر والشكر

اشكر الله عند نعمه كلها، واصبر واستعن به عند البلاء، واستغفره عند الخطأ، واجعل لك لحظات يومية تراجع فيها نفسك وتسأله الهداية والثبات.

فالعمر يمضي ولا يعود؛ فطوبى لمن جعل أيامه طريقًا إلى الله، وساعاته ميدانًا للخير، ولحظاته عامرة بالذكر والعمل الصالح.

سر الخشوع في الصلاة

🌱 **ولأنك الله** عندما أقف بين يديك في الصلاة، أشعر أحيانًا بثقل نفسي، وكأنني أحمل بين ضلوعي هموم الدنيا كلها؛ تتزاحم أفكارى، وتتداخل مشاغلي، ويغمرني الاضطراب، وكأن ضغوط الحياة تحاول أن تشغل قلبي عن الصلاة وتصدني عن الخشوع.

ولكنني، يا رب، أجاهد نفسي— على أن أترك ما يشغلني، وأن أفتح قلبي لك، وأن أقبل عليك بقلبي، وأردد دعاءك الذي علمتنا إياه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^١.

وفي تلك اللحظات التي أقبل فيها عليك، تبدأ روحي بالهدوء، وينساب السلام إلى صدري، وتتسلل الطمأنينة إلى أعماقي، ويأتي الخشوع شيئًا فشيئًا؛ فأشعر أن الصلاة ليست مجرد حركات يؤديها الجسد، وإنما عبادة تحيي القلب، وتغذي الروح، وتمنح النفس فرصة للسكينة والرجوع إليك.

تصبح الصلاة ملاذًا للقلب من ضجيج الدنيا، وميدانًا للذكر والدعاء والتضرع؛ وكل آية أتلوها تذكرني بعظمتك ورحمتك، وكل دعاء أرفعه إليك يعبر عن حاجتي وافتقاري، وكل سجدة أضع فيها جبيني بين يديك تردني إلى حقيقتي: عبدٌ فقير إلى ربه، لا غنى له عنه طرفة عين.

١ آل عمران: ٨

🌱 **ولأنك الله** أتذكر قول نبينا محمد ﷺ: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء، فأدرك أن السجود ليس مجرد وضع الجسد، بل مقام عظيم من الخضوع والافتقار إلى الله.

في السجود ينحني الجسد، ويخشع القلب، ويعترف العبد بضعفه وحاجته إلى ربه؛ وهناك يجد مساحة صادقة للشكوى والدعاء والرجاء، بعيدًا عن ضجيج الدنيا ومشاغليها؛ أشعر أن همومي تصغر أمام عظمة الله، وأن مخاوفي تهدأ حين أضعها بين يديه، وأن السجود يعيد إلى نفسي. توازنها، ويذكرني بأن لي ربًّا ألجأ إليه في كل أمر.

وعندما أقبل على الصلاة بقلبي، وأحاول أن أترك وراء ظهري ما يشغلني، تصبح الصلاة فرصة لتخفيف أثقال النفس، وتجديد الصلة بالله، واستحضار عظمته ورحمته؛ وأدرك أن الخشوع ليس مجرد تركيز ذهني، بل هو حضور القلب مع الله، واستشعار عظمته، والخضوع له، والافتقار إليه.

فالخشوع لا يعني ألا تأتي الأفكار إلى الإنسان، وإنما يعني أن يجاهد نفسه على ردها كلما شردت، وأن يعود بقلبه إلى الصلاة كلما انشغل عنها؛ وكما تفتح الزهرة أوراقها لنور الصباح، يفتح القلب أبوابه لمعاني الإيمان كلما أقبل على كلام الله بتدبر وخضوع.

🌱 **ولأنك الله** أدركنا أن الخشوع في الصلاة من أعظم أسباب حياة القلب وصلاحه، وأن الطمأنينة التي يجدها العبد فيها

ثمرة من ثمار الإقبال على الله؛ وكما قلت في كتابك الكريم : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^١. فالصلاة ليست مجرد أداء للحركات، بل عبادة تتكامل فيها أعمال الجسد والقلب واللسان؛ في القيام قراءة وتدبر، وفي الركوع تعظيم وخضوع، وفي السجود ذل وافتقار، وفي الدعاء رجاء ورغبة.

وكما ازداد القلب خشوعًا، أصبحت الصلاة أعمق أثرًا في النفس؛ فتسكن الروح، ويطمئن الصدر، ويخرج العبد منها بقلب أكثر صفاءً، ونفس أكثر رجاءً، وعزم أقوى على الطاعة. فالخشوع الحقيقي أن يستشعر القلب عظمة الله، ويخلص له العبادة، ويجاهد نفسه على أن يكون ظاهره وباطنه موافقين لمعنى العبودية؛ فيصلي لله، ويدعوه، ويرجوه، ويستعين به، ويعود إليه في كل أحواله.

فتصبح الصلاة مصدرًا للسكينة والهداية، وموعِدًا متكررًا يبتعد فيه القلب عن ضجيج الدنيا، ليجدد عهده بالطاعة والافتقار إلى الله، ويعود إلى الحياة بقلب أهدأ، ونفس أصفى، ويقين أعمق بأن له ربًّا لا يخذل من لجأ إليه.

تطبيق عملي للتزكية

 **تحضير القلب قبل الصلاة** خذ لحظات قبل الصلاة لتهدئة نفسك، واستحضار عظمة الوقوف بين يدي الله،

وتهيئة قلبك للخشوع والتدبر، دون أن تشترط على نفسك بلوغ الخشوع الكامل من أول مرة.

 **التدبر والخشوع في الصلاة** افهم معاني ما تقرأه وتقولُه في الصلاة، وأحسن استحضار معاني الفاتحة والأذكار، واجعل السجود موطنًا للدعاء والافتقار إلى الله، وأعد قلبك برفق إذا شرد.

 **الاستمرار وتقليل المشتتات** خفف ما يشغلك قبل الصلاة وأثناءها، واجعل الدعاء والذكر عونًا على تثبيت قلبك؛ فالصلاة عودة إلى الله نستمد منها قوةً ليومنّا، وسكينةً في قلوبنا، وثباتًا على طاعته.

نعمة الهداية العظمى

شكر الكثيرون الله على نعمة الهداية؛ تلك النعمة التي أخرجتهم من الحيرة إلى البصيرة، ومن الغفلة إلى الذكر، وعرفتهم طريق الحق، وأعانتهم على سلوكه. فالهداية من أعظم نعم الله على عباده؛ بها يستبين الإنسان غايته، ويدرك معنى وجوده، ويميّز بين ما ينفعه وما يضره، ويجد في الإيمان أصلًا يهديه في تقلبات الحياة. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^١.

وللهداية مراتب؛ تبدأ بمعرفة الحق وقبوله، وتستمر بالعمل به والثبات عليه، ويحتاج العبد في كل ذلك إلى توفيق الله وهدايته. فهي ليست شعورًا عابرًا، ولا منزلة يظن الإنسان أنه قد بلغ نهايتها، بل فضل يسأل العبد ربه دوامه، ويجتهد في حفظه بالطاعة والعلم والعمل الصالح. وبالهداية تتضح معالم الطريق، ويصبح الإيمان دافعًا إلى الاستقامة، ومصدرًا للرجاء والصبر وحسن التوجه إلى الله.

 ولأنك الله، كلما تأمل العبد نعمة الهداية، ازداد شعورًا بفضلك وافتقاره إليك؛ فكم من حيرة أزلتها بالحق، وكم من طريق صرفت عنه، وكم من باب خير يسرت الوصول إليه. وحين يتلو القرآن، يجد فيه هدايةً وبصيرة؛ وحين يركع ويسجد، يتذكر عبوديته وافتقاره؛ وحين يذكرك، يستيقظ قلبه من الغفلة؛

١ الضحى: ١١

وحين يعمل صالحًا، يرجو أن يكون ذلك سببًا في زيادة إيمانه وثباته.

والهداية لا تنفصل عن العمل؛ فالإيمان الصادق يظهر أثره في العبادة والأخلاق والمعاملة. وكل طاعة يؤديها العبد، وكل خير يقدمه، وكل مجاهدة لنفسه على الحق، هي من أسباب الاستقامة. وكلما ازداد علمًا بكتاب الله، وعمل بما علم، واستعان بربه، ورجع إليه عند الخطأ، كان أحرى بأن يزداد هدىً وبصيرة.

🌱 ولأنك الله، نتأمل وعدك الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^١. فالهداية ليست محطة يتوقف عندها السائر، وإنما طريق يحتاج فيه العبد إلى مزيد من العلم والعمل والدعاء والثبات. وكلما ازداد معرفةً بالله وكتابه، ازداد إدراكًا لحاجته إلى هدايته؛ فليس أحد مستغنيًا عن ربه طرفة عين.

ولهذا كان من أعظم ما يسأل العبد ربه الثبات على الحق، وسلامة القلب، وحسن العاقبة. وقد كان من دعاء النبي ﷺ: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك. فالقلب يتقلب، والعبد ضعيف، والثبات فضل من الله؛ ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يغتر بما عنده من طاعة، بل يحمد الله عليها، ويسأله الزيادة والثبات.

 ولأنك الله، يتأكد معنى الهداية حين نتأمل قول النبي ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، رواه مسلم. فليست قيمة الإنسان فيما يظهر من صورته أو فيما يملكه من متاع، وإنما في صلاح قلبه وعمله؛ والهداية الحقيقية يظهر أثرها في الإخلاص والتواضع وحسن الخلق، وفي البعد عن الظلم والكبر والأذى، وفي الحرص على الخير والإحسان.

وهكذا تصبح نعمة الهداية مسؤوليةً وشكرًا؛ يحفظها العبد بالطاعة، ويطلب زيادتها بالعلم والذكر والدعاء، ويظهر أثرها في حياته ومعاملاته. وكل يوم يمر فرصة جديدة للرجوع إلى الله، وكل خطأ يُستدرك بالتوبة، وكل باب خير يُفتح للعبد هو موضع حمد وشكر.

فلك الحمد يا رب على نعمة الهداية، ولك الحمد على أن دللتنا على طريق الحق، وأعنتنا على سلوكه، ورددتنا إليك كلما زللنا. وأسألك أن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وأن تهب لنا من لدنك رحمة، وأن تزيدنا هدىً وتقوى، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

تطبيق عملي للتزكية

 الاهتمام بالذكر والقرآن: اجعل القرآن والذكر جزءًا ثابتًا من يومك، واقرأ بتدبر، وحافظ على الأذكار المشروعة؛ ليبقى قلبك متصلًا بالله.

 الصلاة وشكر الهداية: اجتهد في الخشوع، واشكر الله على نعمة الهداية بالقول والعمل، واسأله الثبات والزيادة منها.

الابتعاد عن أسباب الضلال: احفظ قلبك من رفقة السوء
والشبهات والمحتوى المضلل، وإذا أشكت عليك مسألة
فاسأل أهل العلم الموثوقين.

حوار القلب مع الخالق

 ولأنك الله، لا تكف القلوب عن مناجاتك؛ تذكرك في خفاء الليل، وفي سكون الصباح، وتلجأ إليك في الفرح كما في الحزن، وفي السعة كما في الضيق. يرفع العبد إليك رجاءه، وأنت تعلم ما تخفي الصدور وما تعلن. والمناجاة ليست مجرد كلمات تُقال، بل عبادة يظهر فيها افتقار العبد إلى ربه، ولجوؤه إليه، ورجاؤه في رحمته، واستعانتة به في ضعفه وخوفه وقلقه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١. فبذكر الله يجد المؤمن ما يعينه على سكون النفس والثبات أمام تقلبات الحياة، ولا يعني ذلك غياب الحزن أو انقطاع الابتلاء، وإنما يعني أن القلب يجد في الإيمان والرجوع إلى الله زادًا يعينه على مواجهة ما ينزل به.

 ولأنك الله، نؤمن بقربك من عبادك قربًا يليق بجلالك، من غير تكليف ولا تمثيل؛ وقد قلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^٢. فالدعاء عبادة، وفيه إعلان العبد فقره إلى ربه، وإقراره بأنه لا غنى له عنه طرفة عين.

وحين تشتد الهموم، يعود المؤمن إلى الدعاء والذكر، ويستمد من إيمانه ما يعينه على الصبر وحسن التوكل. فليس الاعتماد

١ الرعد: ٢٨

٢ البقرة: ١٨٦

على الله هروبًا من أسباب الحياة، ولا انتظارًا لزوال كل مشقة، بل هو أن يبذل العبد ما يستطيع، ثم يفوض أمره إلى ربه، ويرجو رحمته، ويستعين به في كل شأنه.

 **ولأنك الله**، يتعلم العبد أن صلاح القلب أصل عظيم في صلاح العمل، كما قال النبي ﷺ: **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**، متفق عليه. ولذلك لا يقتصر -إصلاح القلب على الشعور، بل يظهر أثره في العبادة والخلق والمعاملة؛ فيجاهد المؤمن نفسه على الإخلاص، ويتجنب الرياء والكبر والحسد، ويحرص على الرحمة وحسن الخلق.

فأصلح قلبي يا رب، وطهره من الرياء والكبر والحسد، واملأه إيمانًا وإخلاصًا ومحبةً لك، واجعل ذكرك معينًا له على الاستقامة، وطاعتك سبيلًا إلى صلاحه. ولا تجعل عبادتي مجرد عادة، ولا دعائي مجرد ألفاظ، بل ارزقني صدق الافتقار إليك، وحسن التوكل عليك، والعمل بما يرضيك.

وحين يتأمل المؤمن حاله مع الدعاء، يدرك أن الرجوع إلى الله يفتح باب الرجاء، وأن ذكره يعين القلب على مقاومة الغفلة، وأن التوبة تجدد صلة العبد بربه. والله سبحانه محيط بعباده علمًا، لا تخفى عليه خافية، وهو سبحانه أعلم بأحوالهم، وأرحم بهم، وأقرب إليهم بما يليق بجلاله، من غير أن يشبهه قربه قرب المخلوقين.

 **ولأنك الله**، نقر بعبوديتنا لك، ونعلم حاجتنا إليك في كل لحظة. فإذا ابتعدنا عن اللغو وما لا ينفع، وخففنا من الانشغال

بما يشئت القلب، وجدنا في الذكر والدعاء ما يعين على صفاء النفس، وفي الطاعة ما يهدي إلى الاستقامة. فلا نعتمد على قوتنا وحدها، بل نتوكل عليك، ونأخذ بالأسباب، ونرجو رحمتك، ونستعين بك في كل أمر.

فلك الحمد يا رب على أن فتحت لنا باب الدعاء، وأذنت لنا بمناجاتك، وعلمتنا أن الضعف ليس نهاية الطريق؛ فكم من قلب أثقله الهم، ثم وجد في الرجوع إليك قوةً على الصبر، وكم من نفس أرهقها القلق، ثم أعانها الإيمان على مواصلة الطريق. نسألك يا رب قلبًا صالحًا، ولسانًا ذاكرًا، ونفسًا مطمئنة بطاعتك، وثباتًا على الحق حتى نلقاك.

تطبيق عملي للتزكية

 **الذكر والدعاء:** خصص وقتًا هادئًا يوميًا للذكر والدعاء وقراءة القرآن بعيدًا عن المشتتات.

 **الابتعاد عن الشواغل وشكر النعم:** خذ وقتًا للهدوء ومراجعة النفس، واستحضر نعم الله واشكره عليها.

فالمناجاة الصادقة لا تنتهي بانتهاء الدعاء؛ بل يظهر أثرها في قلبٍ أصلح، ونفسٍ أهدأ، وخلقٍ أحسن، وعملٍ صالحٍ يُرجى به رضا الله.

سر القرب من الرحمن

 **لأنك الله** فليس القرب منك حلمًا يراود الفكر، ولا أمنية تُرددها الألسن، بل هو عبادة صادقة، وإيمان يزداد، ونية تستقيم، وحياة تُعاش في طاعتك.

فالقرب منك ليس قرب مسافة، وإنما هو قرب عبادة وطاعة ومحبة وإخلاص، كما يليق بجلالك. وحين يسجد العبد لك، يتذكر عظمتك وافتقاره إليك، ويجد في السجود معنى الخضوع والعبودية. وكل صلاة يؤديها بخشوع، وكل دعاء يرفعه إليك بصدق، وكل طاعة يبتغي بها رضاك، هي من أسباب الاستقامة والرجاء.

يقترّب العبد منك بالصلاة؛ فهي عبادة تجمع القيام والقراءة والركوع والسجود، وتربي القلب على الخشوع والانقياد. ويقترّب بالصدقة؛ فتزكي النفس من الشح، وتفتح لها أبواب الإحسان. ويقترّب بالصيام؛ فيتعلم التقوى والصبر وضبط النفس. ويقترّب بالذكر؛ فيستعين به على مقاومة الغفلة، قال تعالى: ﴿لَا يَذْكُرِ اللَّهُ تَظْمِئُ الْقُلُوبُ﴾^١.

 **ولأنك الله**، يعلم العبد أن الطاعة لا تكون بقوته وحدها، بل بتوفيقك وإعانتك، وأن كل عمل صالح يفعله هو فضل يستحق الحمد، وسبب يرجو به زيادة الإيمان والثبات. وقد قال النبي ﷺ: **إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم**

القيامة أحاسنكم أخلاقاً^١. فحسن الخلق ليس أمراً منفصلاً عن العبادة، بل من أعظم آثار الإيمان، ومن أبواب الخير التي يظهر بها صدق الاستقامة.

وحين يتأمل المؤمن معنى القرب، يجد أن أثر العبادة لا يقف عند لحظة الصلاة أو الذكر؛ فكل ذكر يوقظ القلب، وكل طاعة تزكي النفس، وكل توبة ترد العبد إلى طريق الاستقامة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢. فمجاهدة النفس على الخير، مع الاستعانة بالله، من أسباب الهداية والتوفيق.

وكما أقبل العبد على ربه بالطاعة، ازداد رجاؤه، واتسع أمله، وتعلم أن العبادة ليست وسيلة للهرب من مشكلات الحياة، وإنما زاد يعينه على مواجهتها بالصبر والتوكل وحسن العمل. فإذا ضاقت به الدنيا، عاد إلى ربه؛ وإذا أخطأ، بادر إلى التوبة؛ وإذا أنعم الله عليه، شكره؛ وإذا خاف، استعان به وتوكل عليه. وقد قال النبي ﷺ: **إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه به**. وهو حديث صحيح الإسناد. فالصلاة ليست حركات تؤدي بالجسد فحسب، بل عبادة عظيمة يجتمع فيها الذكر والقراءة، والركوع والسجود والخشوع. وكلما حضر القلب، وتدبر العبد ما يقول، كان أرجى أن يظهر أثر الصلاة في سلوكه وأخلاقه.

١ رواه الترمذي

٢ العنكبوت: ٦٩

فكل تكبيرة تذكر بعظمة الله، وكل قراءة تفتح بابًا للتدبر، وكل ركوع يربي على التواضع، وكل سجود يجدد معنى الافتقار، وكل دعاء يبعث في النفس الرجاء والإنابة. وهكذا تصبح الصلاة مدرسة للقلب؛ تربيته على الإخلاص والخضوع، وتدفعه إلى التوبة والاستقامة، وتنعكس آثارها على معاملته للناس.

 **ولأنك الله**، نسألك يا رب أن تجعلنا ممن يطلبون القرب منك بطاعتك، لا بمجرد الشعور، وأن تجعل أثر عبادتنا ظاهرًا في أخلاقنا وأعمالنا وصبرنا وإحساننا. واجعل قلوبنا إذا ضاقت بها الدنيا تعود إليك، وإذا أخطأت تستغفرك، وإذا أنعمت عليها تشكرك، وإذا احتاجت تسألك، وإذا خافت تتوكل عليك. اللهم اجعل سجودنا وذكرنا ودعاءنا وأعمالنا الصالحة أسبابًا إلى رضاك ورحمتك، وارزقنا الإخلاص في القول والعمل، وحسن الخلق، والثبات على الحق. ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

تطبيق عملي للتزكية

 **الإخلاص**: جدد نيتك في كل عمل صالح، واجعل العبادة لإصلاح القلب والسلوك.

 **حسن الأخلاق واستثمار الوقت**: اجعل عبادتك تظهر في الصديق والرحمة والصبر، واستثمر وقتك في الطاعة والنفع.

 **مراجعة أثر العبادة**: اسأل نفسك يوميًا: هل زادتني العبادة صبرًا ورحمةً، وأبعدتني عن المعصية؟

نعمة العافية الكبرى

 **لأنك الله** حين يلمس الضعف الأجساد، أو يطرق المرض أبواب الإنسان، تنكشف له حقيقة نعمة قد يغفل عن قدرها زمن العافية؛ فيدرك كم أن الصحة فضل عظيم، وكم أن الإنسان ضعيف محتاج إلى رحمتك في كل لحظة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾^١

فالعافية نعمة تستحق الحمد؛ كل نفس يتردد بيسر، وكل حركة بلا ألم، وكل صباح يستقبل فيه الإنسان يومه قادراً على السعي والعبادة، هو فضل من الله لا يملك العبد أن يستوفي شكره. ولذلك يحمد المؤمن ربه في حال الصحة، ويحمده في حال المرض، مع اختلاف حال العبد بين النعمة والابتلاء؛ فيشكر عند العافية، ويصبر ويحتسب عند البلاء.

والعافية ليست مجرد سلامة الجسد من المرض، بل فرصة لاستعمال ما أنعم الله به على العبد فيما ينفعه في دينه ودنياه؛ فإذا أُعطي قوةً وصحةً، كانت أمامه أبواب واسعة من الطاعة والعمل والإحسان. يستطيع أن يصلي، ويسعى في مصالحه، ويعين غيره، ويتعلم، ويعمل، ويستعمل صحته فيما يعود عليه وعلى الناس بالخير.

 **ولأنك الله**، نسألك أن تعيننا على شكر عافيتك قبل أن تتغير أحوالنا، وأن تجعل صحتنا قوةً على طاعتك، لا سبباً

١ الأنعام: ١٧.

للغفلة عنك. وأن تذكرنا دائماً بأن النعم لا تُحفظ بمجرد امتلاكها، وإنما بشكر المنعم وحسن استعمالها.

وقد قال النبي ﷺ: **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير؛ احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، رواه مسلم.** فالقوة التي يُرغَّب فيها المؤمن ليست مقصورة على قوة البدن، بل تشمل قوة الإيمان والعزيمة والقدرة على طلب ما ينفع والاستعانة بالله. وقد يضعف الجسد، ويبقى القلب قويًا بالصبر والإيمان والرجاء؛ ففي كل حال باب من أبواب الخير.

وإذا نزل المرض، لم يكن ذلك نهاية الطريق؛ فقد يكون ميدانًا للصبر والاحتساب، وتذكيرًا بضعف الإنسان وحاجته إلى ربه. ولا يلزم أن يعرف العبد الحكمة الخاصة من كل مرض يصيبه، لكنه يعلم أن الله حكيم لا يظلم عباده، فيسأل ربه العافية، ويأخذ بالأسباب المشروعة، ويصبر على ما نزل به، ويرجو الأجر والرحمة.

يا رب، إذا منحتني الصحة فلا تجعلني أغفل عن المنعم، وإذا ابتليتني بالمرض فارزقني الصبر وحسن الظن بك، وأعني على الأخذ بأسباب العلاج، واجعل ضعفي بابًا إلى مزيد من الافتقار إليك، لا سببًا لليأس أو السخط.

وقد قال رسول الله ﷺ: **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**^١. فكم من إنسان لا يعرف قيمة العافية إلا حين

١ رواه البخاري

يفقد شيئًا منها، ولا يدرك قيمة الوقت إلا حين تضيق به الأيام. ومن الحكمة أن يعرف العبد قدر النعمة وهي بين يديه، فيستعملها قبل أن تحول الأيام بينه وبين بعض ما كان قادرًا عليه.

 **ولأنك الله**، لا نسألك عافية الأجساد وحدها، بل نسألك عافيةً في الدين، وسلامةً في القلب، وصلاحًا في الخلق والعمل ولا تحرمنا أجر الصابرين.

وهكذا يتعلم الإنسان أن العافية ليست أمرًا معتادًا ينبغي أن يمر عليه غافلًا، بل نعمة تستحق الشكر والعمل. فكل خطوة في الخير، وكل صلاة، وكل خدمة للناس، وكل جهد يُبذل في نفع النفس والآخرين، يمكن أن يكون من وجوه شكرها. ومن عرف قدر العافية لم ينتظر زوالها ليكتشف قيمتها، بل استعملها اليوم فيما ينفعه غدًا.

فلك الحمد يا رب في الصحة والمرض، وفي القوة والضعف، وفي السعة والضيق.

 **تطبيق عملي للتركية:**

 **استعمال الصحة في الطاعة:** استثمر قوتك ووقتك في الصلاة والقرآن والعلم وصلة الرحم وخدمة الناس.

 **الصبر والدعاء عند المرض:** اصبر واحتسب، وخذ بالأسباب، وأكثر من سؤال الله الشفاء والعافية.

 **مراجعة النفس والافتقار إلى الله:** اجعل الصحة بابًا للشكر والمرض بابًا للصبر، وتذكر دائمًا حاجتك إلى الله.

حكمة القدر الإلهي

🌱 **لأنك الله** في كل لحظة من لحظات الحياة، يجد الإنسان نفسه أمام أقدار تجري في تفاصيلها؛ فيؤمن أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله سبحانه حكيم لا يقدر شيئاً عبثاً. وقد تخفى على العبد وجوه الحكمة فيما يجري، لكنه يعلم أن علم الله أوسع من علمه، وأن حكمه قائم على العدل والحكمة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾^١.

وفي اللحظات التي تختلط فيها الأفكار والمشاعر، يجد المؤمن في الإيمان بالقدر باباً من السكينة؛ فهو لا يعلم الغيب، ولا يحيط بحقائق ما يجري في حياته، لكنه يعلم أن ربه حكيم، وأن عليه أن يسعى في الخير، ويأخذ بالأسباب، ثم يفوض ما لا يملكه إلى الله. ومن هنا لا يكون التوكل استسلاماً للعجز، بل جمعاً بين بذل السبب وصدق الاعتماد على الله.

🌱 **ولأنك الله**، حين نتوكل عليك ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، يهدأ كثير من القلق؛ فنسعى فيما نستطيع، وندعوك، ونستشير، ونختار، ثم نرضى بما تقدر لنا بعد بذل الأسباب. فإذا جاء الأمر على غير ما تمنينا، لم نجعل الحزن يقطعنا عنك، بل عدنا إليك بالصبر

والرجاء، وسألناك أن تجعل لنا في المقدر خيرًا، وأن تعيننا على القيام بما يجب علينا.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^١. فالعسر ليس نهاية الطريق، وقد يكون البلاء سببًا للأجر إذا صبر العبد واحتسب، وقد يوقظ القلب من الغفلة، ويدفع الإنسان إلى مراجعة نفسه وتجديد صلته بربه. وليس على العبد أن يعرف الحكمة الخاصة من كل ابتلاء؛ يكفيهِ أن يثق بحكمة الله، وأن يعمل بما يستطيع، وأن يرجو فضله.

وقد قال النبي ﷺ: **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.** فليس الخير دائمًا في موافقة ما نحب، وإنما قد يكون في الطريقة التي نتعامل بها مع ما ينزل بنا؛ نشكر عند النعمة، ونصبر ونحتسب عند المصيبة.

 **ولأنك الله، علّمنا أن نحسن الظن بك من غير أن ندّعي معرفة حكمتك في كل حادثة. فإذا تأخر عنا أمر، دعوناك أن يكون في تأخيره خير، وإذا مُنِعنا من شيء، سألناك أن تعوضنا خيرًا منه، وإذا أصابنا ما نكره، استعنا بك على الصبر وسألناك اللطف والعافية.**

قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^١.

فكم من أمر ظنه الإنسان شرًا ثم ظهرت له بعض وجوه الخير فيه، وكم من شيء تمناه ثم علم بعد ذلك أن الخير لم يكن في حصوله. وهكذا يتعلم أن علمه محدود، وأن تدير الله أوسع من نظره.

ومن تمام العبودية أن يفرّق الإنسان بين الرضا بالله ربًا، والرضا بشرعه وحكمه، وبين الصبر على ما يكرهه من أقدار الله. فلا يطلب العبد البلاء ولا يتمنى الألم، بل يسأل ربه العافية، فإذا وقع البلاء صبر واحتسب، وأحسن الظن بربه، ورجا ما عنده من الأجر.

يا رب، علّمنا أن نعيش مؤمنين بأنك المدبر الحكيم، وأن مشيئتك نافذة، وأننا عباد لك؛ نسعى وندعو ونختار، ثم نتوكل عليك فيما لا نملك. وإذا جاء قضاؤك فيما لا نستطيع دفعه، فارزقنا الصبر وحسن الظن بك، ولا تجعل جهلنا بحكمة ما جرى سببًا لسوء الظن برحمتك.

 **ولأنك الله**، إذا ضاقت بنا الحياة لجأنا إليك، وإذا اتسعت شكرناك، وإذا لم نفهم الحكمة من أمر، لم نجعل جهلنا حجةً على حكمتك. واجعل قلوبنا مطمئنة بك؛ لا لأنها تعرف تفاصيل الغيب، بل لأنها تعرف رب الغيب، وتؤمن بحكمته، وترجو رحمته.

اللهم اجعلنا راضين بك ربًا، ثابتين على طاعتك، صابرين على ما نكره، شاكرين لنعمك. وإذا كان في أمر نريده خيرٌ لنا في ديننا ودنيانا، فاقدره لنا ويسره، وإن كان فيه شر فاصرفه عنا واصرفنا عنه، واقدر لنا الخير حيث كان، ثم رضنا به.

تطبيق عملي للتزكية

 **الصبر وحسن الظن بالله:** عند البلاء اصبر واحتسب، وتجنب السخط واليأس، وأحسن الظن بحكمة الله ورحمته.

 **الدعاء والاستخارة:** أكثر من الدعاء بالعافية، واستخر الله واستشر أهل الخبرة عند الحيرة، ثم امض فيما ترجح لك.

 **مراجعة النفس:** اجعل البلاء فرصةً للصبر والإصلاح وزيادة الافتقار إلى الله، فالإيمان بالقدر يورث الطمأنينة والثقة بحكمة الله.

سر السجود لله

🌱 **لأنك الله،** في لحظات السجود سرٌّ من أسرار العبودية، وسرورٌ يفيض من صدق الافتقار إليك؛ يجد الإنسان قلبه ممتلئًا بالحاجة إلى رحمتك، ويضع جبينه على الأرض، فتخف وطأة شواغل الحياة، ويستحضر معنى العبودية والخضوع بين يدي ربه. فالسجود ليس حركة يؤديها الجسد فحسب، بل عبادة عظيمة يجتمع فيها الخضوع والدعاء والرجاء، ويظهر فيها فقر العبد إلى ربه، وحاجته إلى عفوه ورحمته. وفي السجود يتذوق العبد معنى العبودية؛ فيسأل ربه الهداية والعفو، ويستغفر من قصيره، ويجدد توبته، ويستحضر ضعفه وحاجته. وكلما طال مقامه في السجود، ازداد إدراكًا أن قوته الحقيقية ليست في استقلاله بنفسه، وإنما في استعانتة بالله وافتقاره إليه.

قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^١. فالسجود من أعظم مواطن القرب من الله بالطاعة والعبادة والخضوع؛ وليس المقصود قرب مسافة، فالله سبحانه منزّه عن ذلك، وإنما هو قرب يليق بجلاله، يظهر أثره في ازدياد الإيمان والاستقامة والخشوع. وقال النبي ﷺ: **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**^٢. ولذلك كان السجود موطنًا عظيمًا للدعاء،

١ العلق: ١٩

٢ رواه مسلم

يرفع فيه العبد حاجته إلى ربه، ويسأله خيري الدنيا والآخرة، ويرجو رحمته من غير أن يجعل المشاعر وحدها دليلاً على حاله عند الله.

 **ولأنك الله،** حين تضيق بالإنسان الحياة، قد يجد في السجود فرصة لتهدأ ضوضاء النفس، ويستجمع قلبه، ثم يعود إلى واقعه بقوة أهدأ وإيمان أرسخ. فالعبادة ليست هروباً من الحياة، بل زاداً يعين على مواجهتها بالصبر والتوكل وحسن العمل.

وفي السجود يستطيع العبد أن يرفع حاجته إلى الله، وأن يستعين به على نفسه، ويسأله إصلاح قلبه وعمله، وهو يعلم أن الله لا تخفى عليه خافية. ولا يحتاج الدعاء إلى تكلف؛ فقد يكون أصدقه ما خرج من قلب منكسر، يعترف بضعفه، ويرجو رحمة ربه، ويطلب منه الثبات والهداية.

والتوبة التي يستحضرها العبد في صلاته ليست مجرد عاطفة عابرة، بل رجوع إلى الله بترك الذنب والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه. ومن هنا يمكن أن يكون السجود لحظة صادقة لمراجعة النفس وتجديد العزم على الاستقامة.

وقد ثبت عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غُفر له ما تقدم من ذنبه**^١. وفي ذلك تذكير بأن حضور القلب والإخلاص من أعظم ما يرفع أثر العبادة في حياة المسلم.

١ رواه البخاري

ولا يعني ذلك أن كل سجود يصاحبه شعور خاص أو لذة وجدانية؛ فقد يعبد العبد ربه في حال نشاط القلب وفتوره، ويبقى ميزان العبادة هو صدق الإخلاص، واتباع السنة، والاستقامة على الطاعة. ولذلك يكون أثر السجود الأصدق حين يظهر بعد الصلاة في أخلاق الإنسان وأعماله.

 **ولأنك الله**، إذا نزل البلاء، فاجعل السجود موطن رجاء، والدعاء باب افتقار، والصبر سبيلاً إلى الأجر. علّمنا ألا نتكلف معرفة الحكمة من كل ما يصيبنا، بل أن نحسن الظن بك، ونأخذ بالأسباب، ونرجع إليك في ضعفنا وخوفنا ورجائنا. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^١. فالسجود ليس لحظة منفصلة عن الحياة؛ بل هو تربية للقلب على الذكر والشكر والخضوع، ثم ترجمة لهذه المعاني في القول والعمل.

يا رب، اجعل كل سجدة بدايةً لتوبة أصدق، وإيمان أقوى، وخشوع أعمق، وخُلُق أحسن. واجعل أثر صلاتنا ظاهرًا في تعاملنا مع الناس، فإذا قمنا منها كنا أرحم، وأصدق، وأبعد عن المعصية، وأقرب إلى الخير.

اللهم ارزقني قلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، ونفسًا مطمئنة بطاعتك. وإذا وضعت جبيني على الأرض، فذكّرني بعظيم فضلك، وبافتقاري الدائم إليك. واجعل سجودي شاهدًا لي، واجعله سببًا في زيادة إيماني وتوبتي وثباتي.

١ البقرة: ١٥٢

اللهم اجعلنا من المكثرين من السجود والدعاء، ومن الذين إذا قاموا إلى الصلاة أقبلت قلوبهم عليك، وإذا فرغوا منها ظهر أثرها في أخلاقهم وأعمالهم. واجعل لنا من كل سجدة خشوعًا، ومن كل دعاء رجاءً، ومن كل طاعة زيادةً في الإيمان، وثبتنا على طاعتك حتى نلقاك.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 السجود منبع الطمأنينة: استغل السجود للتركيز على الحضور القلبي والتواصل مع الله، واغتنم لحظاته لتصفية قلبك وذهنك من هموم الدنيا.

🌱 السجود كوسيلة للتزكية: استخدم السجود لتخليص نفسك من الكبرياء والتسليم الكامل لله، مع التركيز على العبادة والإخلاص.

🌱 التسليم الكامل في السجود: في السجود، تقبل إرادة الله بكل خشوع، واعترف بخطاياك واطلب العون والمغفرة.

🌱 السجود كإغاثة قلبية: في لحظات الضيق، توجه للسجود كملاذ للراحة الروحية والسكينة.

الختام: السجود هو الطريق الأساسي للتزكية الروحية، اغتنمه لتطهير نفسك وتقوية إيمانك، وللتقرب إلى الله في كل لحظة.

نور اليقين المتجدد

حين تتسلل الشكوك إلى القلب، وتغشى — النفس ظلمات الحيرة، ويشد القلق حتى يزاحم الطمأنينة، قد يشعر الإنسان أن الطريق من حوله قد اضطرب؛ ثم يتذكر أن وراء هذا الاضطراب إيمانًا يحتاج إلى أن يُغذى ويُجدّد، وأن القلب لا يستقيم بكثرة التفكير وحدها، بل بالرجوع إلى الله، وطلب الهداية منه، وحسن التوكل عليه.

فاليقين بالله ليس شعورًا عابرًا يزول عند أول اختبار، ولا دعوى يكتفي بها اللسان، بل إيمان يتجدد بالعلم والعمل والذكر والدعاء، وثقة بحكمة الله مع الاعتراف بقصور علم العبد. وقد قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١. فالذكر يربط القلب بربه، ويعينه على مقاومة الغفلة، ويمنحه من السكينة بقدر ما يشاء الله له من فضله.

 **ولأنك الله،** يتعلم العبد أن اليقين لا يعني ألا يحزن أو يقلق، ولا أن يعيش بعيدًا عن تقلبات الحياة، وإنما يعني ألا تجعل هذه التقلبات قلبه يائسًا من رحمتك. فإذا اشتدت الحيرة، عاد إليك؛ وإذا غلبه الخوف، استعان بك؛ وإذا خفيت عنه الحكمة، أحسن الظن بك، وأخذ بالأسباب، ولم يجعل جهله بما وراء الأحداث سببًا لسوء الظن بتدبيرك.

١ الرعد: ٢٨

وحين يتأمل المؤمن في آيات الله الكونية والشرعية، يرى من آثار الحكمة والإتقان ما يزيده معرفةً بربه وتعظيمًا له؛ ويتذكر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١. فالهداية فضل من الله، والعبد يسألها ويطلب أسبابها، ويجاهد نفسه على لزوم الحق.

واليقين لا يعفي من الأخذ بالأسباب، ولا يلغي التفكير والمشاورة والتخطيط؛ بل يدفع الإنسان إلى بذل ما يستطيع، ثم تفويض ما لا يملك إلى الله. فإذا بذل وسعه ولم تأت النتيجة كما أراد، لم يظن أن سعيه ضاع، ولم يجعل خيبة الأمل بابًا إلى القنوط، بل ينظر فيما يستطيع إصلاحه، ويستعين بالله على ما عجز عنه.

 ولأنك الله، أسألك يقينًا يثبت قلبي عند الفتن، وإيمانًا يعينني على الصبر حين تضيق السبل، وبصيرةً تجعلني أميز بين ما أستطيع تغييره وما يجب أن أفوضه إليك. اللهم لا تجعل خوفي من المستقبل يسرق مني طمأنينة اليوم، ولا تجعل جهلي بما تخبئه الأيام سببًا لاضطراب قلبي؛ علّمني أن أعمل بما أقدر عليه، وأن أستعين بك فيما أعجز عنه، وأن أحسن الظن بك في الحالين.

وكلما ازداد العبد علمًا بكتاب الله، وتدبر في أسمائه وصفاته، وأكثر من ذكره ودعائه، وجد أسبابًا تزيد إيمانه رسوخًا. وكلما عمل بما علم، وجاهد نفسه على الطاعة، ونظر في نعم الله

وآياته، ازداد افتقارًا إليه، وعرف أن قوة القلب ليست في ادعاء الاستغناء، وإنما في صدق العبودية والاستعانة بالله. وقد يمر المؤمن بلحظات يضعف فيها قلبه، أو تكثر فيها أسئلته، أو تثقل عليه المخاوف؛ وهذا لا يعني بالضرورة ذهاب إيمانه. لكنه يحتاج في تلك اللحظات إلى أن يعود إلى أصوله: القرآن، والذكر، والدعاء، والصلاة، ومجالسة أهل العلم والصالح، والأخذ بالأسباب التي تعينه على الثبات. فالإيمان يزيد بالطاعة، ويضعف بالغفلة والمعصية، والقلب محتاج إلى التعاهد دائمًا.

🌱 ولأنك الله، اجعل يقيني بك نورًا يهدي خطواتي، لا شعورًا مؤقتًا أبحث عنه لذاته؛ واجعل أثره ظاهرًا في صبري، وأخلاقي، وقراراتي، وطريقة تعاملتي مع ما لا أفهمه. إذا جاءت النعمة شكرت، وإذا نزل البلاء صبرت واحتسبت، وإذا أخطأت استغفرت، وإذا احتجت دعوت، وإذا عجزت توكلت عليك. اللهم ثبت قلبي على الإيمان، وارزقني حسن الظن بك، واهدني سواء السبيل، وأعني علىذكرك وشكرك وحسن عبادتك. واجعلني ممن يستضيئون بهدايتك، ويستمدون قوتهم من التوكل عليك، ويسیرون في حياتهم بقلوب راجية لرحمتك، خائفة من التقصير في حقك، عاملة بما تستطيع. يا أرحم الراحمين، امنحني يقينًا يعينني على تجاوز الخوف دون تهور، وعلى مواجهة القلق دون يأس، وعلى الصبر دون استسلام للعجز. واجعلني إذا ضاقت بي الدنيا أعود إليك، وإذا

اتسعت أشكرك، وإذا خفيت عني الحكمة وثقت بحكمتك،
وإذا ابتليت رجوت أجرك ورحمتك.

اللهم اجعل إيماني بك سراجًا أستضيء به في ليالي الحيرة،
وثبتني على صراطك المستقيم، واجعل قلبي متعلقًا بك
بالطاعة والرجاء، ولساني عامرًا بذكرك، وعملي شاهدًا على
صدق إيماني. وارزقني الثبات حتى ألقاك، وأنت راضٍ عني.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 **تجديد اليقين:** قوّ صلتك بالله بالصلاة والذكر والدعاء
والتفكير في نعمه، واستمد منها القوة والثبات.

🌱 **التعلق بالله:** اعتمد بقلبك على الله مع الأخذ بالأسباب،
واجعل ذكره مصدرًا للسكينة والهداية.

🌱 **تجسيد اليقين:** حوّل إيمانك إلى عمل صالح وصبر
وحسن خلق، وعند القلق الجأ إلى الله وحافظ على حسن
الظن به.

في صحبة الذكر الدائم

في لحظات الهم والغم، حين يغشى القلب الحزن أو يثقل عليه القلق، قد يجد الإنسان في ذكر الله ما يعينه على تهدئة اضطرابه واستعادة توازنه؛ فالذكر عبادة تربط القلب بربه، وتذكره بعظمته ورحمته، وتخرجه من الاسترسال مع الهم إلى مقام الرجاء والاستعانة. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١.

فالذكر ليس كلمات تجري على اللسان فحسب، بل عبادة تتصل بالاعتقاد والقلب والعمل؛ فالتسبيح تنزيه لله عما لا يليق به، والتحميد اعتراف بفضله وإحسانه، والتهليل تجديد لمعنى التوحيد والإخلاص. وكلما حضر القلب مع الذكر، كان أرجى لأن يترك أثره في السلوك، فيعين صاحبه على الصبر، والشكر، ومراقبة الله، وحسن التعامل مع الناس.

 **ولأنك الله**، يتعلم العبد أن الذكر ليس وسيلة للهروب من هموم الحياة، بل زاد يعينه على مواجهتها. فإذا نزل به الحزن، ذكرك ورجا رحمتك؛ وإذا أصابه الفقد، استعان بك وصبر واحتسب؛ وإذا أحاطت به الحيرة، عاد إلى كتابك وسنة نبيك ﷺ، وسألك الهداية والثبات. وإذا جاءت النعمة، لم ينس المنعم، بل حمدك واستعان بما أعطيته على طاعتك.

وقد قال النبي ﷺ: **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**^١. فكما تحيا الأجساد بالغذاء، يحتاج القلب إلى ما يحييه من الإيمان والذكر والطاعة. وليس المقصود أن مجرد تحريك اللسان يكفي لإصلاح القلب، بل أن يكون الذكر معيًّا على حضور القلب، ومراجعة النفس، والابتعاد عن الغفلة والمعصية.

وفي صحبة الذكر يتعلم الإنسان أن يرد قلبه إلى ربه كلما شرد، وأن يستحضر- نعم الله كلما ضاقت به الحياة. فالتسبيحة تذكره بعظمة الله، والتحميدة تفتح عينه على النعم، والتهليلة تجدد في قلبه معنى التوحيد، والاستغفار يذكره بتقصيره ويفتح له باب التوبة. ومع دوام هذه المعاني، يصبح الذكر جزءًا من حياة القلب، لا عادةً منفصلة عن السلوك.

 **ولأنك الله**، في الذكر فرصة لتجديد العهد بالطاعة، وتطهير القلب من الغفلة، وإعادة ترتيب ما اضطرب من الداخل. وحين يكثر العبد من ذكرك، لا يعني ذلك أن الحزن لن يصيبه، أو أن القلق لن يمر بقلبه؛ فالإنسان يمرض ويحزن ويضعف، لكن الذكر يعينه على ألا يستسلم لهذه المشاعر، وعلى أن يعود إليك كلما أثقلتته الحياة.

وفي القرآن والذكر والدعاء يجد المؤمن ما يعينه على الثبات؛ فيقرأ آيات الوعد والرحمة، ويتذكر أن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأن مع العسر يسرًا، وأن عليه أن يسعى في الأسباب

١ رواه البخاري

المباحة ثم يتوكل عليك. وهكذا يصبح الذكر معيّنًا على حسن الظن بالله، لا دعوى لمعرفة ما تخفيه الأقدار، ولا وسيلة لإلغاء المشكلات أو إنكار الألم.

وكما ذكر العبد ربه، ازداد انتباهًا إلى نعم لا يلتفت إليها في زحام الأيام؛ نعمة الصحة، والأهل، والأمان، والقدرة على العمل والطاعة. فيتحول الذكر إلى شكر عملي، ويظهر أثره في حفظ النعم واستعمالها فيما يرضي الله، وفي الإحسان إلى عباده.

يا رب، ارزقني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا حاضرًا، وعملاً صالحًا يصدق ما أقوله. اجعل ذكرك عونًا لي على نفسي، ومذكّرًا لي بنعمك، وباعثًا لي على التوبة والشكر. وإذا غلبني الهم، فلا تجعلني أستسلم له، بل رديني إليك بالصلاة والدعاء والذكر، وارزقني صبرًا جميلًا ورجاءً صادقًا.

اللهم علّمني أن أذكرك في الرخاء قبل الشدة، وفي الصحة قبل المرض، وفي السعة قبل الضيق؛ وأن أجعل ذكرك جزءًا من يومي، لا ملجأ مؤقتًا عند الأزمات. واجعل أثر ذكرك ظاهرًا في أخلاقي وأعمالي، فأكون أرحم بالناس، وأصدق في معاملتي، وأبعد عن الظلم والأذى، وأسرع إلى التوبة إذا أخطأت.

 **ولأنك الله**، فإن القلب المحتاج إليك لا يستغني عن ذكرك؛ فاجعلنا من الذاكرين الشاكرين، ومن الذين إذا ضاقت بهم الدنيا عادوا إليك، وإذا أنعم عليهم حمدوك، وإذا أصيبوا صبروا، وإذا أذنبوا استغفروا. وارزقنا سكينة تعيننا على

طاعتك، ويقىنًا بحكمتك، وحسن ظن برحمتك، وثباتًا على الحق حتى نلقاك.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 اجعل الذكر عادة يومية : حافظ على ورد ثابت من الأذكار في يومك، مع حضور القلب واستشعار عظمة الله وفضله.

🌱 عند الضيق والقلق : الجأ إلى الصلاة والدعاء والقرآن والذكر، واجعلها سببًا للشبات والرجاء والطمأنينة.

رحلة العودة الأخيرة

يا رب، اجعل قلب العبد دائم التوجه إليك، لا يستسلم للغفلة، ولا يأنس بالبعد عن طاعتك؛ فإن الغفلة إذا استحكمت أضعفت القلب وأورثته القسوة، أما القلب الذي يتعاهد إيمانه بالذكر والطاعة والتوبة، فإنه يبقى في طريق الرجوع إليك، ويلتمس أبواب الخير في كل حال. فافتح لنا من أبواب هدايتك ورحمتك ما يثبتنا، واجعل الشدائد باعثة على الصبر والإنابة، والنعم دافعةً إلى الحمد والشكر.

واجعل عقولنا متفكرة في نعمك، وقلوبنا شاكرةً لك في المنح والمنع؛ ففي بعض التأخير خير قد لا ندركه، وقد يكون البلاء سبباً للأجر والتكفير وزيادة الصبر والرجوع إليك، من غير أن نزعم معرفة الحكمة الخاصة من كل ما يقع. قال تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^١. فإليك المرجع والمصير، وأنت الحكم العدل الذي لا يظلم أحداً، وكل ما يقع داخل في علمك وتقديرك؛ وعلى العبد أن يحسن الظن بك، ويصبر على ما يكره، ويأخذ بالأسباب المشروعة فيما يستطيع.

🌱 ولأنك الله، امنحني صدقاً يسبق خطواتي في طريقك، وبصيرةً أرى بها في المحن مجالاً للصبر، وفي النعم باباً للشكر، وفي كل تقصير فرصةً للتوبة والإصلاح. وعلمني أن أستعد

للقائك بالإيمان والعمل، لا بمجرد الأمنيات؛ وأن أجعل محبتي لك ظاهرةً في طاعتي واستقامتي وحسن خلقي.

وقد قال نبينا محمد ﷺ: **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**، متفق عليه. وهذا لا يعني أن المؤمن يطلب الموت أو يفر من البلاء، وإنما أن محبة لقاء الله عند حضور الموت تكون لما يرجوه المؤمن من رحمة الله وفضله. فاجعلني ممن يحسنون الاستعداد لذلك اللقاء بالتوبة، والإخلاص، والعمل الصالح، ورد المظالم، وحسن الخاتمة.

واجعل رحلتي إليك خاتمةً حسنة، واختم لي بالإيمان والتوحيد، وارزقني حسن الاستعداد للقائك. فإذا جاء يوم الرحيل، فاجعلني من أهل رحمتك ورضوانك، وممن تبشرهم الملائكة بالأمن والطمأنينة. اللهم اجعل قلبي في الدنيا عامراً بالإيمان، ولساني ذاكراً لك، وعملي صالحاً، وتوبتي صادقة، حتى ألقاك وأنت راضٍ عني. وأسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك.

 **ولأنك الله**، اجعل هذه الرحلة عامرةً بهدايتك وتوفيقك، وأعني على الصبر عند البلاء، والشكر عند النعم، والتوبة عند التقصير، وحسن الظن بك في كل الأحوال. وارزقني قلباً راضياً بك رباً، مستعيناً بك، متوكلاً عليك، عاملاً بما شرعت، آخذاً بالأسباب، مستسلماً لما لا أملك دفعه، راجياً رحمتك، خائفاً من تقصيري.

اللهم إذا طال الطريق فلا تكلمي إلى نفسي—، وإذا زللت فرديني إليك، وإذا ضعفت فقوّني، وإذا غفلت فأيقظ قلبي بذكرك. واجعل آخر عمري خيره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك. اللهم اختم لنا بالإيمان والتوحيد، وثبّتنا على طاعتك، واغفر تقصيرنا، وتجاوز عن ذنوبنا، وارزقنا حسن الخاتمة، والفوز برحمتك ورضوانك، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

الاستعداد للقاء الله

يا رب، اجعل قلوبنا متوجهةً إليك؛ كلما شغلتنا الدنيا أعادها ذكرك، وكلما أثقلتها الغفلة أيقظتها التوبة، وكلما تاهت بين طرق الحياة دلّها الإيمان عليك. فإن القلوب قد تضعف بالغفلة، وتثقلها الشهوات، وتستولي عليها مشاغل الأيام؛ لكنها ما دامت تعرف طريق الرجوع إليك، فباب التوبة مفتوح، وأبواب الخير باقية، ورحمتك أوسع من تقصيرنا. علّمنا أن نعيش بين الخوف والرجاء؛ نشكر نعمك ولا نغتر بها، ونصبر على ما نكره ولا نسيء الظن بك، ونبذل ما نستطيع من الأسباب، ثم نفوض ما وراء قدرتنا إليك. ففي المنع حكم قد لا ندركها، وفي التأخير خير قد لا نراه، وفي البلاء أجر وتكفير ورفع للدرجات؛ وليس لنا أن نزعم معرفة الحكمة من كل قدر، لكن لنا أن نثق بحكمة ربنا وعدله ورحمته.

قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^١. فإليك المرجع والمصير، وإليك تنتهي رحلة العمر

مهما طال الطريق. وما أجمل أن نعيش ونحن نستحضر- هذه الحقيقة؛ فلا تستغرقنا الدنيا حتى تنسينا الآخرة، ولا يخيفنا المستقبل حتى ننسى- أن لنا ربًّا يعلم ما كان وما يكون، وأن الأمر كله إليه.

 **ولأنك الله**، ارزقنا من الصدق ما يجعل إيماننا ظاهرًا في أعمالنا، ومن اليقين ما يحملنا على طاعتك، ومن البصيرة ما يعيننا على مراجعة أنفسنا كلما قصّرنا. لا تجعل محبتنا لك كلمات نرددها، بل اجعلها عبادةً نخلص فيها، وخُلُقًا نحسنه، وخيرًا نبذله، وذنبًا نتركه، وحقًا نؤديه.

وقد قال نبينا محمد ﷺ: **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**، متفق عليه. وليس معنى ذلك أن نطلب الموت أو نتمنى البلاء، وإنما يكون ذلك عند حضور الموت، حين يُبَشِّر- المؤمن بما يرجوه من رحمة الله وفضله؛ فاجعلنا ممن يستعدون لذلك اللقاء بالتوبة والعمل الصالح، ويغلب عليهم الرجاء في رحمتك، مع الخوف من التقصير في حقك.

إن كل طريق له نهاية، وحياة الإنسان مهما طالت ماضية إلى أجلها؛ ولذلك فإن الرحلة الإيمانية لا تكتمل إلا باستحضار الحقيقة التي تنتظر كل إنسان: الرجوع إلى الله والوقوف بين يديه.

ليس الحديث عن الموت دعوةً إلى ترك الدنيا أو الانشغال عن واجباتها، بل هو تذكير بأن الحياة أمانة، وأن الأيام رأس مال، وأن العاقل من أحسن الاستعداد لما بعد الموت؛ بالتوبة،

والعمل الصالح، ورد الحقوق، وإصلاح القلب، والإكثار من الخير.

نحن لا نعلم متى تنتهي الرحلة، ولا كيف تكون خاتمتنا؛ ولذلك نسأل الله حسن الخاتمة، ونستعين به على الثبات، ونرجو رحمته، ولا نغتر بأعمالنا؛ فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، يعمل ويستغفر، ويجتهد ويتواضع، ويرجو أن يلقي الله بقلب سليم.

وهنا تصل الرحلة إلى ذروتها؛ فبعد كل الأسئلة، وكل الذكر، وكل السجود، وكل الصبر والشكر، يبقى السؤال الأهم: ماذا أعددت للقاء الله؟

ليست النهاية موتًا فحسب، وإنما هي تذكير بأن كل يوم نعيشه هو خطوة في طريق الرجوع إلى الله؛ فطوبى لمن جعل أيامه زادًا، وقلبه عامرًا بالإيمان، وعمله شاهدًا على صدقه، ورجاءه متعلقًا برحمة ربه.

 **ولأنك الله**، اجعل ما بقي من أعمارنا فرصة لا تُهدر؛ أعنا على ذكرٍ لا تغلبه الغفلة، وطاعة لا يفسدها الرياء، وتوبة لا نؤخرها، وعمل صالح يبقى أثره بعدنا. وإذا زللنا فردنا إليك، وإذا ضعفنا فقونا، وإذا قست قلوبنا فأحيها بذكرك، وإذا ضاقت بنا السبل فافتح لنا من أبواب فضلك ما يعيننا على الاستقامة.

واجعلنا إذا أنعمت علينا شاكرين، وإذا ابتلينا صابرين، وإذا أذنبنا مستغفرين، وإذا احتجنا سائلين، وإذا عجزنا متوكلين عليك. ولا تجعلنا نعيش للدنيا وكأنها دار البقاء، ولا تجعل

الزهد فيها تركًا لما شرعت من عمارتها بالحق والخير؛ بل ارزقنا
قلوبًا تجعل الآخرة غايتها، والدنيا وسيلةً إلى ما يرضيك.

❖ تطبيق عملي للتزكية:

🌱 حافظ على الذكر والصلاة والدعاء والقرآن، والجا إلى الله
دائمًا ولا تيأس من رحمته.

🌱 ثق بحكمته ورحمته في المنح والمنع، واصبر عند البلاء مع
الأخذ بالأسباب.

🌱 أظهر محبتك بالطاعة وحسن الخلق وترك المعاصي
والإحسان إلى الناس، واستعد للقاء الله.

🌱 تخلص من أمراض القلب، وأكثر من التوبة والاستغفار،
وآد الحقوق، واسأل الله حسن الخاتمة.

🌱 سلّم لحكمة الله فيما لا تعلم، واجمع بين التوكل والأخذ
بالأسباب والصبر على ما لا تستطيع تغييره.

الخاتمة

في هذه اللحظات التي يهدأ فيها ضجيج الحياة، وتستقر القلوب على ذكر الله ودعائه، نتأمل ما مضى من الطريق، فنرى كم أحاطتنا نعم الله ونحن لا نشعر، وكم ساق إلينا من أبواب الهداية والرحمة واللطف ما أعاد قلوبنا إليه كلما شغلنا الدنيا أو أثقلتنا الغفلة. ومع هذا التأمل، لا تختفي مشاغل الحياة، ولا تنتهي الابتلاءات، لكن القلب يتعلم أن يحملها وهو مستعين بالله، راج رحمته، ثابت على طاعته.

كل خفقة في قلوبنا تذكّرنا بنعمة الحياة، وكل نفس نتنفسه شاهد على فضل الله علينا؛ فنحمده على نعمه الظاهرة والباطنة، ونحمده في السراء والضراء، ونسأله أن يجعل الحمد حياةً في قلوبنا، يظهر أثرها في الشكر والعمل وحسن التعامل مع خلقه. وندرك أن السكينة ليست غياباً للحزن، ولا حياةً بلا ابتلاء، وإنما هي طمأنينة تنشأ من الإيمان بالله، وحسن التوكل عليه، والرجوع إليه عند الشدة والرخاء.

وندرك كذلك أن القرب من الله ليس قرب مسافة ولا جهة، تعالى الله عن ذلك، وإنما هو قرب يليق بجلاله؛ يظهر أثره في طاعة العبد، وذكره، ودعائه، وافتقاره إلى ربه، واستقامته على أمره. فكلما صدقت العبادة، وحسن العمل، ورقّ القلب، ازداد العبد تعلقاً بربه، ورجاءً في رحمته، وخوفاً من التقصير في حقه.

ربما كانت الرحلة كلها، بكل ما فيها من أسئلة وتأملات ودموع وصلوات، عودةً إلى معنى واحد: أن القلب لا يستقيم إلا إذا عرف ربه، ولا يطمئن إلا بذكره، ولا تزكو حياته إلا بطاعته.

ستعود بعد أن تغلق هذه الصفحات إلى حياتك؛ إلى عملك، وأهلك، ومسؤولياتك، وأيامك العادية؛ فلا تجعل ما قرأته مجرد مشاعر عابرة، بل دع كل معنى منها يتحول إلى عمل؛ صلاةٍ تحسنها، وذكرٍ تحافظ عليه، وذنبٍ تتركه، ونعمةٍ تشكرها، وابتلاءٍ تصبر عليه، وقلبٍ تجاهد في إصلاحه.

إذا ضاقت بك الدنيا، فتذكر ربك؛ وإذا اتسعت، فاشكره؛ وإذا أخطأت، فتب؛ وإذا ضعفت، فاستعن به؛ وإذا أعطيت، فلا تنسَ المنعم؛ وإذا مُنعت، فلا تيأس من رحمته؛ وإذا طال الطريق، فلا تتوقف عن السير.

فالطريق إلى الله ليس طريقًا تقطعه في يوم، وإنما هو عبودية تتجدد مع كل نفس، ورجوع يتكرر مع كل توبة، وافتقار لا ينتهي ما دمت حيًّا.

فلا تغفل عن الله؛ واجعل قلبك دائم الرجوع إليه، ولسانك عامرًا بذكره، وجوارحك عاملةً بطاعته، ونفسك راجيةً رحمته، حتى تلقاه وهو راضٍ عنك.

 **ولأنك الله،** نسألك أن تجعل ذكرك حياةً لقلوبنا، ونورًا لبصائرنا، وعونًا لنا على الثبات في طريقك. اجعلنا ممن إذا ذكروك ازدادوا إيمانًا، وإذا أنعمت عليهم شكروك، وإذا ابتليتهم صبروا، وإذا أذنبوا استغفروك، وإذا ضاقت بهم السبل لجؤوا إليك، وإذا اتسعت عليهم الدنيا لم تشغلهم عن آخرتهم.



المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم موقع الباحث الحديثي <https://sunnah.one> في الموسوعة الحديثية بالدرر السنية
٣. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر- من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٩ أجزاء.
٤. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر- بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون رقم طبعة، ٥ أجزاء.
٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٧ أجزاء.
٦. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار

عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، ٦ أجزاء.

٧. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٢ جزءًا.

٨. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٥ أجزاء.

٩. أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٠. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٥ جزءًا.

الفهرست	
ص	العنوان
٦	الفطرة وسؤال الوجود الله
٧	هل عرفت سرّ وجودك؟
١٠	سرّ الوجود الخفي
١٣	نداء الفطرة
١٦	أين النور؟
١٩	الحرف الذي لا ينطق
٢٣	بصيرة القلب تدرك ما تعجز عنه الأبصار
٢٦	سرّ السعادة الحقيقية
٣٠	معرفة الله وأسمائه
٣١	لأنك الله
٣٤	في رحاب الأسماء الحسنى
٣٧	في ظلال اسمك الرحيم
٤١	الله الكافي جل جلاله
٤٤	القريب المجيب
٤٧	أنت المستعان الحقيقي

الفهرست	
٤٩	نهر الرحمة المتدفق
٥٢	في ظلال المغفرة الواسعة
٥٥	القرآن والذكر والمناجاة
٥٦	نور القرآن الدائم
٥٩	في صحبة القرآن الدائمة
٦٢	الطريق الذي لا نهاية له
٦٥	اليد التي لا تُخيب
٦٨	محبة الله طريقاً وعملاً
٧١	اللؤلؤة المكنونة
٧٤	ذكر الله النور الذي لا ينطفئ
٧٧	الحب الذي لا يفنى
٨٠	سؤال يهدأ عند باب الرحمة
٨٥	في معية لا تغيب
٩٠	الفجر همسات بين يدي الرحمن
٩٣	أنت الغاية والمنتهى
٩٦	إلى الله... حيث تسكن الطمأنينة

الفهرست	
٩٨	عندما يتكلم القلب بلغة الدموع
١٠٠	رحمة الله في المحن: طريق الصبر والرضا
١٠٥	سجود القلب قبل الجسد
١٠٨	النور الذي لا ينطفئ
١١١	حين يهدأ الكون وتبقى المناجاة
١١٥	في روضة الشكر
١١٨	مناجاة القلوب
١٢١	حنين العودة الأبدي
١٢٥	في مدرسة البلا
١٢٨	سرّ القرب
١٣١	ظلّ التوكل الوارف
١٣٤	لغة الدموع الناطقة
١٣٧	في مدرسة الصبر الجميل
١٤٠	لذة المناجاة الخالصة
١٤٣	رحلة العودة الأبدية
١٤٦	الذكر وترتيب الأحوال

الفهرست	
١٤٩	في مدرسة الحكمة البليغة
١٥٢	لغة السكينة الهادئة
١٥٥	لذة القرب الأبدي
١٥٧	رحلة الشوق الدائم
١٦٠	مدرسة الرضا العميق
١٦٣	حوار الضعف الصادق
١٦٦	في صحبة الدعاء الخاشع
١٦٩	رحلة العبودية
١٧٣	نعمة البصر الباطن
١٧٥	سر القرب من الله
١٧٨	نعمة الوقت الثمين
١٨٢	سر الخشوع في الصلاة
١٨٦	نعمة الهداية العظمى
١٩٠	حوار القلب مع الخالق
١٩٣	سر القرب من الرحمن
١٩٦	نعمة العافية الكبرى

الفهرست	
١٩٩	حكمة القدر الإلهي
٢٠٣	سر السجود لله
٢٠٧	نور اليقين المتجدد
٢١١	في صحبة الذكر الدائم
٢١٥	رحلة العودة الأخيرة
٢٢١	الخاتمة

هذا الكتاب:

«لأنك الله» رحلة روحية تأخذ القارئ في مسار متدرج نحو معرفة الله والقرب منه؛ يبدأ من الفطرة وسؤال الوجود، ويمر عبر البصيرة ومعرفة الله وأسمائه الحسنى. ثم ينتقل إلى القرآن والذكر والمناجاة، ومحبة الله والتوكل عليه واستشعار معيته. ويعرف القارئ بمعاني الرحمة والمغفرة والصبر والرضا والشكر في مواجهة الحياة ومحنها. كما يركز على الخشوع في الصلاة، والسجود، والدعاء، والعبادة بوصفها سلوكاً عملياً لا مجرد كلمات. ويحث على تهذيب القلب وضبط المسار الروحي والانضباط الداخلي وترتيب الأحوال. ويقدم في كل محطة معنى عملياً يسهل تطبيقه في حياة المسلم اليومية دون تكلف أو مشقة. فالغاية أن تتحول المناجاة من همسات لفظية إلى أثر يظهر في علاقة الإنسان بنفسه ومن حوله. ويعيد الكتاب توجيه القلب من الغفلة والقسوة إلى اليقين، والمحبة، والسكينة، والطمأنينة. إنها رحلة عودة إلى الله، تبدأ من القلب وتنتهي إليه، بحثاً عن حقيقة العبودية ولذة القرب.